٤- قرغيزستان :مساحتها ١٩٨،٠٠٠ كيلومتر مربع، وسكانها حوالي (٦ مليون) نسمة، منهم (٧٧%) مسلمون، ونسبة القرغيز تبلغ حوالي (٥٠%)، والتاجيك (٢٥%)، والروس (١٥%).. عاصمة الجمهورية هي بيشكيك.

٥- تاجيكستان :وتقع إلى الشمال مباشرة من أفغانستان. مساحتها ١٤٣،٠٠٠ كيلومتر مربع. والمسلمون يشكلون حوالي (٨٦%) من السكان، وأما أهم الأعراق فهي كالتالي: التاجيك (٦٠%)، الأوزبك (٢٣%)، والروس (٩%).. والعاصمة هي دوشانبه. ويتميز التاجيك بعدم انتمائهم إلى العرق التركي كما هو شأن الكازاخ والأوزبك والتركمان والقرغيز.. بل هم أقرب إلى الجنس الآري الذي يشمل أيضا الفرس والبشتون.

١- الاستبداد والفساد :فقد طال التغيير كل الجمهوريات السوفييتية السابقة إلا الإسلامية منها! فهناك جرت انتخابات حرة نزيهة (أو شبه نزيهة) وتغيرت الأنظمة، وسقط الجبابرة وبدأت ملامح التغيير الديمقراطي تظهر بقوة أو على استحياء في أوكرانيا وجورجيا وأرمينيا وليتوانيا وإستونيا وغيرها بدعم سياسي واقتصادي وإعلامي واضح من الغرب، دون أن تصل تلك التغييرات إلى الجمهوريات الإسلامية، فظلت تعاني من تسلط أنظمة قمعية فاسدة هي من بقايا العهد الشيوعي المندثر، وظل يحكم تلك الجمهوريات طراز غريب من البشر رفعوا أنفسهم إلى مرتبة من لا يسأل عما يفعل.. كل ذلك بدعم من روسيا والغرب على حد سواء! فظلت هذه الأنظمة بالتالي في مأمن من الضغوط الأمريكية والأوروبية بشأن انتهاكات حقوق الإنسان، وظلت مستثناة تماما من أجندة الإصلاح والتغيير الأمريكية، وهذا النفاق الغربي ليس بجديد، بل هو المنهج المتبع ما دام الأمر يتعلق بالمصالح، وليس رغبة حقيقية في سيادة قيم الحرية والديمقراطية.

كانت ضمن الاتحاد السوفيتي واستقلت بعد انهياره مكونة دول آسيا الوسطى الخمسة.

- **المزايا الاستراتيجية لمنطقة آسيا الوسطى:**

كتب الخبراء الاستراتيجيون كثيراً عن مزايا آسيا الوسطى ووضع الخبير الاستراتيجي ماكيندر نظرية "قلب الأرض" الشهيرة بالاستناد إلى أهمية منطقة آسيا الوسطى باعتبارها تمثل المتغير الجيو-سياسي اللازم الذي يمثل مفتاح السيطرة على العالم، وتأسيساً على ذلك، يمكن الإشارة إلى المزايا الآتية التي تتمتع بها المنطقة والتي يمكن أن يتمتع بها من يسيطر عليها:

التمركز في آسيا الوسطى يتيح الإطلالة الأكثر سهولة والأقل تكلفة باتجاه:

- العمق الحيوي الروسي باتجاه الشمال.
- العمق الحيوي الصيني باتجاه الجنوب الشرقي.
- العمق الحيوي لشبه القارة الهندية باتجاه الجنوب.
- العمق الحيوي الإيراني باتجاه الجنوب الغربي.

العمق الحيوي لكامل منطقة بحر قزوين باتجاه الغربوجميع هذه المناطق تسعى الولايات المتحدة الأمريكية للسيطرة عليها وممارسة النفوذ فيها.

- السيطرة على موارد آسيا الوسطى تتيح التحكم في إمدادات النفط والغاز والمعادن والموارد الزراعية إلى روسيا والصين وشبه القارة الهندية ودول الاتحاد الأوروبي.
- السيطرة على ممرات آسيا الوسطى تتيح السيطرة على الممرات البرية والجوية التي تربط بين شبه القارة الهندية، وروسيا والصين، وغير ذلك من الطرق والممرات التي تتيح ضبط التفاعلات والعلاقات البينية التي تربط بين الأقاليم المحيطة بمنطقة آسيا الوسطى.

٢- تنافس القوى الكبرى :فبالرغم من التوافق الأمريكي الروسي على إبعاد هذه المنطقة عن أصولها الإسلامية، إلا أنها تتنافس في ما سوى ذلك! فالمنطقة تتميز بالموقع الاستراتيجي والثروات المعدنية الهامة، خاصة النفط.

٣- ضعف الوعي الديني الصحيح :وذلك بعد سبعين عاما من الحكم الشيوعي الملحد، الذي وجه كل أجهزته الإعلامية والتربوية الجبارة لمحو أي أثر للدين الإسلامي من المجتمع، وهذا يمثل تحديا خطيرا للحركات الإسلامية، حيث أن التجربة الأفغانية أثبتت أن الحماس المجرد والعاطفة الملتهبة لا يكفيان لإقامة مجتمعات إسلامية، بل لا بد من الفهم العميق الناتج عن التربية الإسلامية الجادة والشاملة.

خلال الفترة الممتدة من نهاية عام ١٩٩٨م وحتى الآن، سمع العالم كما لم يسمع من قبل بمنطقة آسيا الوسطى، وبمرور الأعوام أصبحت أبعاد الصراع في آسيا الوسطى أكثر عمقاً، وأصبحت امتداداته أكثر اتساعاً إضافة إلى أن القوى المتصارعة في هذه المنطقة أصبحت أكثر تنوعاً، لجهة السيطرة والنفوذ على المصالح التي أصبحت بدورها أكثر حيويةً.

***المجال الحيوي: جغرافيا آسيا الوسطى:**

عرضياً تقع آسيا الوسطى في الرقعة الممتدة من ساحل بحر قزوين الشرقي حتى تخوم منغوليا الواقعة بين الصين وروسيا، وتقع آسيا الوسطى في المنطقة الممتدة من شمال أفغانستان وحتى حدود روسيا الجنوبية.

يضم الإقليم السياسي الخاص بمنطقة آسيا الوسطى خمسة دول: كازاخستان، تركمانستان، أوزبكستان، طاجيكستان، كيرغيزستان. وتقول المعلومات التاريخية أن هذه المنطقة ظلت لفترة طويلة تحمل اسم تركستان ولكن بعد ضمها إلى الاتحاد السوفيتي السابق، وتحديداً في فترة حكم جوزيف ستالين، أطلقت كتب الجغرافيا السوفيتية عليها تسمية منطقة آسيا الوسطى التي

الخصوص الأوزبيك التي توجد في شمال أفغانستان وجنوب أوزبكستان، فقد انتقلت عدوى الجماعات الإسلامية المسلحة لأوزبكستان وحالياً تعتبر أوزبكستان المفصّل الأكبر للحركات الإسلامية المسلحة في آسيا الوسطى.

• **طاجيكستان:** وهي من أكثر دول آسيا الوسطى المعرضة حالاً للاضطرابات بفعل تأثيرات الانقسامات على الخطوط الإثنو-ثقافية إضافة إلى تداعيات الحرب الأهلية الطاجيكية التي ظلت تندلع بين الفينة والأخرى، وتشير المعلومات إلى أن اندلاع الحرب الأهلية سيترتب عليه إشعال الصراعات داخل أوزبكستان كيرغيزستان المجاورتان لطاجيكستان.

• **كيرغيزستان:** تقع في أقصى الجانب الشرقي لمنطقة آسيا الوسطى وتعتبر ذات قيمة جيو-ستراتيجية خطيرة في المنطقة، لأنها تطل مباشرة على إقليم سينغ يانغ الصيني الغربي الذي تنشط فيهُ الحركات الإسلامية المعاصرة الانفصالية المعروفة باسم حركات الإيغور، والذي مازال سكانه رافضين الاعتراف بالهوية القومية الصينية وبدلاً من ذلك يطلقون على منطقتهم اسم تركستان الشرقية، وعلى نفسهم تسمية التركستانيين الشرقيين، وتقول الإحصائيات أن ٧٠% من سكان الإقليم من ذوي الأصول الكيرغيزية والكازاخية.

ثانياً: الأوضاع الكلية للصراع: يدور الصراع في المنطقة على أساس اعتبارات وجود نوعين من القوى المتورطة في الصراع ويمكن استعراض ذلك على النحو الآتي:

• **القوى الإقليمية:** وتتمثل في إيران، تركيا، الهند، باكستان، إضافة إلى روسيا والصين باعتبارهما تجاوران الإقليم وتربطهما علاقات تعاون وصراع مرتبطة بالشأن الإقليمي.

*الوضع الحالي للصراع في آسيا الوسطى:

بسبب الطبيعة المعقدة للصراع في هذه المنطقة فإن من الأفضل الاعتماد على تحليل خارطة الصراع على النحو الآتي:

أولاً: الأوضاع الجزئية للصراع: ويمكن استعراض الصراع حالياً في دول آسيا الوسطى على النحو الآتي:

• **كازاخستان:** يتميز النظام الحالي بالاستقرار إضافة إلى الروابط القوية مع روسيا، مع الإبقاء على باب العلاقات مفتوحاً مع كل من الصين والولايات المتحدة الأمريكية، وتقول المعلومات أن المعارضة الداخلية ضعيفة وغير قادرة على القيام بفرض أي تهديدات حقيقية في الوقت الحالي.

• **تركمانستان:** تتميز بالبيئة السياسية المنقسمة والذرائعية الشديدة، لجهة قدرة النظام على فرض سيطرته الداخلية الشديدة، ولكن على صعيد السياسة الخارجية فإن توجهات النظام غير مستقرة فهو يلعب على كل الخطوط وقد وقع اتفاقيات تعاون مع روسيا وأمريكا وإيران ويحاول بقدر الإمكان توظيف الأوراق الخارجية للوقاية من المخاطر الداخلية.

• **أوزبكستان:** كانت من أوائل الدول في آسيا الوسطى التي حاولت الارتباط بأجندة السياسة الأمريكية ولكن لاحقاً بدأت خط العودة عن طريق إنهاء اتفاقية نشر القواعد الأمريكية فيها، وتفادي الضغوط الأمريكية التي تريد أن تجعل من أوزبكستان الممر الشمالي للقوات الأمريكية في أفغانستان لتلعب دوراً مشابهاً لذاك الذي تلعبه باكستان باعتبارها الممر الجنوبي. هذا، وقد سبق أن لعبت أوزبكستان هذا الدور عندما شاركت في تحرك الحملات العسكرية ضد نظام طالبان الاسلامي ففي الوقت الذي كان فيه محور الهجوم الجنوبي متحركاً من باكستان كان محور الهجوم الشمالي متحركاً من أوزبكستان ضمن ما عرف باسم "تحالف قوات الشمال". هذا، وبسبب مجاورة أوزبكستان المباشرة لأفغانستان إضافة لوجود الامتدادات القبلية ذاتها، وعلى وجه

أصبحت القاعدتان الأمريكية والروسية توجدان على مقربة من بعضهما البعض.

تقول التوقعات أن النفوذ الأمريكي كان يمكن أن يتمدد بقدر أكبر في آسيا الوسطى لو استمرت إدارة بوش في تطبيق مخططات ادارة كلينتون القائمة على تقديم المعونات وتوجيه الاستثمارات وبناء الروابط التجارية والاقتصادية ولكن إدارة بوش لجأت إلى استخدام الوسائل المدنية – العسكرية في محاولة فرض السيطرة على دول آسيا الوسطى ومن أبرز ما قامت به إدارة بوش الآتي:

- محاولة إشعال الثورات الملونة في أوزبكستان كيرغيزستان وتركمانستان وغيرها الأمر الذي أدى إلى إغضاب الأنظمة الحاكمة فيها.
- محاولة ابتزاز دول آسيا الوسطى عن طريق الربط بين تقديم المعونات وبناء الروابط وبين مدى تقديم دول آسيا الوسطى للتسهيلات الأمنية والعسكرية لأمريكا.
- احتلال أفغانستان والعراق وتداعياتها على الأوضاع في باكستان أدت مجتمعة إلى تشويه مصداقية واشنطن السياسية في آسيا الوسطى.

وحالياً، من الصعب على إدارة أوباما إعادة إنتاج مفاعيل جهود إدارة بوش لأن تاريخ شعوب بلدان آسيا الوسطى قد مضى قدماً، التي لم تعد ترغب في أي وجود أمريكي في أراضيها إضافة إلى أن أنظمة آسيا الوسطى أصبحت أكثر شكوكاً ومخاوفاً إزاء أجندة واشنطن الحقيقية وما زاد مخاوف دول آسيا الوسطى تزايد وجود الجماعات اليهودية التي أعادت تصديرها إسرائيل إلى المنطقة، ومحاولتها استخدام يهود طاجيكستان وكازاخستان وتركمانستان وأوزبكستان في محاولة النفاذ والتغلغل داخل الهياكل المؤسسية الرسمية وهو أمر انتبهت إليه هذه الدول وعلى وجه الخصوص عندما تبين أن

•**القوى الكبرى العظمى:** وتتمثل في الولايات المتحدة وروسيا والصين مع ملاحظة أن فرنسا قوة كبرى ظلت تركز على التعامل مع ملف آسيا الوسطى عن طريق الاتحاد الأوروبي.

محاور الصراع الكلي ما تزال في حدود الآتي:

• المواجهاتِ الدبلوماسية بين الولايات المتحدة من جهة، والصين وروسيا من الجهة الأخرى، ضمن ما يمكن تسميته بـ"علاقات الصراع."

• التعاون الدبلوماسي بين الصين وروسيا ضمن ما يمكن تسميته بـ"علاقات التعاون."

برغم محاولات الولايات المتحدة الأخيرة الهادفة إلى إعادة إشعال الخلافات بين روسيا والصين ومحاولة توظيف الخلافات الصينية والروسية على غرار توظيف هذه الخلافات خلال فترة الحرب الباردة السابقة فإن التعاون على خط موسكو – بكين قد قطع شوطاً كبيراً في تجاوز خلافات الماضي، عندما نجح التوافق الروسي – الصيني في بناء منظمة تعاون شنغهاي ذات الطبيعة الاقتصادية – السياسية – العسكرية – الأمنية، والتي تقول التحليلات أنها:

• ستلعب دوراً كبيراً في حفظ توازن القوى الكبرى.

• ستقوم بدور الموازن الذي يقف في الجانب الشرقي في مواجهة حلف الناتو الذي يقف في الجانب الغربي.

وحالياً، استطاعت منظمة تعاون شنغهاي النجاح في ضم دول آسيا الوسطى الخمسة إلى عضويتها بالإضافة إلى روسيا والصين، ومنغوليا مع إعطاء إيران وباكستان والهند صفة "مراقب". وبسبب جهود المنظمة فقد قررت أوزبكستان عدم تجديد اتفاقيات استمرار وجود القوات الأمريكية في أراضيها إضافة إلى كيرغيزستان التي بسبب تورطها في استضافة قاعدة عسكرية أمريكية قامت على الفور باستضافة قاعدة عسكرية روسية، بحيث

التغلغل الإسرائيلي في دول آسيا الوسطى

أصبحت "إسرائيل" تولي اهتمامًا خاصًا بالنفاذ إلى دول آسيا الوسطى، وتمتين العلاقات معها، لا بل تنويع هذه العلاقات لتصبح أبواب هذه الكتلة الآسيوية مفتوحة أمامها لاستثمارها؛ لدعم وجودها في فلسطين، وانعكاسات ذلك على العلاقات العربية مع دول آسيا الوسطى.

وخصص هذا البحث للإجابة عن بعض التساؤلات المهمة، لعل من أبرزها: ما أسباب التغلغل الإسرائيلي في آسيا الوسطى؟ وما الوسائل التي استخدمتها "إسرائيل" لتسهيل عملية تغلغلها في دول آسيا الوسطى؟ وما مستقبل التغلغل الإسرائيلي في آسيا الوسطى؟ وبني هذا البحث على فرضية مؤداها "إمكانية حصول تأثيرات سياسية واقتصادية جراء التغلغل الإسرائيلي في آسيا الوسطى، وانعكاساتها السلبية على العلاقات بين العرب ودول آسيا الوسطى.

أولاً: أسباب التغلغل الإسرائيلي في آسيا الوسطى

عند البحث عن أسباب التغلغل الإسرائيلي في آسيا الوسطى، تبدو للمراقب ثلاثة أنواع رئيسة من العوامل التي تفسر أسباب هذا التغلغل، فهي إما عوامل استراتيجية، أو اقتصادية، أو أمنية.

١- العوامل الاستراتيجية:

أ- يرى بعض الباحثين الغربيين أن هناك عدة عوامل استراتيجية للتغلغل الإسرائيلي في آسيا الوسطى، لعل من أبرزها[١٨٣]:

(١) تحييد دور العرب والمسلمين في آسيا الوسطى، والحد من تطوير علاقتهما المشتركة، وخاصة إذا كان لها تأثير لتقييد التحرك الإسرائيلي في

---

[183] سعيد السبكي، وجراهام دولك، خبير الشؤون الآسيوية في هولندا: "إسرائيل" جندي تسهيلات لأمريكا في آسيا الوسطى، البيان (الإمارات)، ٢٠٠٢/١/٢٥م.

هذه الأقليات اليهودية قد شاركت بقدر كبير في تفعيل وتمويل حركات الاحتجاج المدني التي اندلعت وحاولت إشعال الثورات الملونة في آسيا الوسطى على غرار الثورة البرتقالية الأوكرانية والثورة الوردية الجورجية التي قادها ساخاشفيلي الذي يحمل جنسيتين أمريكية وجورجية...

في الشرق الأوسط، لعلاج الخلل الكائن فيها من خلال ضم دول غير عربية إليها، مثل دول آسيا الوسطى والقوقاز من الشرق، وإثيوبيا من الجنوب[186].

٢- العوامل الاقتصادية:

يبدو أن "إسرائيل" أعطت الأسباب الاقتصادية أهمية خاصة في تحركها لتبرير تغلغلها في آسيا الوسطى لعل من أبرزها:

أ- انتزاع مواطئ أقدام متزايدة الاتساع في أسواق آسيا الوسطى[187].

ب- احتضان دول آسيا الوسطى طاقات علمية ضخمة ورثتها من تركة الاتحاد السوفيتي السابق، ومنها كازاخستان، حيث كانت تعتبر واحدة من أكثر الجمهوريات السوفيتية تقدمًا من الناحية العلمية، فضلاً على وقوع مطار بايكونور الفضائي الشهير داخل أراضيها، وهو مركز إطلاق سفن الفضاء، وتجارب الصواريخ، وأبحاث حرب النجوم في العهد السوفيتي، وما تزال روسيا تستأجره للأغراض نفسها حتى الآن[188].

ج- الاستحواذ على مواقع الثروة ومصادر الطاقة المستقبلية[189]، حيث إن الثروات الهائلة التي تمتلكها الدول الخمس في آسيا الوسطى: أوزبكستان، وطاجيكستان، وتركمانستان، وقرغيزستان، وكازاخستان، هي بحد ذاتها فاتحة للشهية الإسرائيلية قبل أية حسابات استراتيجية؛ فبالإضافة إلى المخزون الهائل من اليورانيوم، والذهب، والفضة، وباقي المعادن الاستراتيجية، يشكل حجم احتياطي النفط في تقديراته الأولية بحد ذاته عاملاً مشجعًا للتغلغل

---

186 عدوان، المصدر نفسه.

187 محمد فراج أبو النور، آسيا الوسطى – منطقة جديدة للصراع والتوغل الصهيوني، البيان، ٢٠٠٢/١/٢٥م.

188 عدوان، المصدر نفسه.

189 أبو النور، المصدر نفسه.

المنطقة، خشية أن تثمر تلك العلاقات انعكاسات وتداعيات من شأنها أن يكون الميزان العسكري في غير صالح "إسرائيل"[184] .

(٢) الوجود الإسرائيلي من الناحية الجغرافية مهم جدًا في تلك المنطقة، فـ"إسرائيل" ترى في آسيا منطقة عمق، وذلك لامتداد البحر الأحمر كشريط له إطلالة عسكرية، وليست أوزبكستان وحدها التي تحظى بالاهتمام الإسرائيلي، بل إريتريا وإثيوبيا.

ب- ويفسر بعض الباحثين الآسيويين أسباب تغلغل "إسرائيل" الاستراتيجي في آسيا الوسطى، بالتالي[185] :

(١) تحسين الوجه الإسرائيلي، وجعله مقبولاً لدى الأوساط الآسيوية.

(٢) إظهار أهمية اعتماد دول آسيا الوسطى على "إسرائيل" في إعداد وتأهيل كوادرها العسكرية.

(٣) تقديم التسهيلات التي تتيح بناء علاقات مع أنظمة دول آسيا الوسطى.

(٤) إظهار قدرة "إسرائيل" على خدمة أجندة دول آسيا الوسطى عمليًا وعسكريًا.

(٥) تحاول "إسرائيل" أن تربط بين دول آسيا الوسطى والشرق الأوسط، إذ إن جذب دول آسيا الوسطى في المشروع الشرق أوسطي يستحدث واقعًا جديدًا

---

[184] بيسان عدوان، النزاع الإسرائيلي – الإيراني في آسيا الوسطى والشرق الأوسط، مختارات إيرانية، العدد ٥٦، (آذار/مارس ٢٠٠٥).

[185] نوار القيسي، الغياب العربي – الإسلامي عن الساحة الآسيوية فتح الباب على مصراعيه: الاستراتيجية أمريكية، والتنفيذ صهيوني، والمصلحة مشتركة، البيان، ٢٠٠٢/١/٢٥م.

يتوقف التخوف الإسرائيلي من الأصولية الإسلامية، خاصة مع التقارب النووي الإيراني – الروسي، والوجود الإيراني الجيوسياسي في آسيا الوسطى[١٩٥].

فمثلاً رصدت "إسرائيل" المخاوف المتزايدة لدى نظام كريموف في أوزبكستان مما يسمونه بـ "الخطر الأصولي"، الذي يمثله النموذج الأفغاني بعد الإطاحة بنظام نجيب الله في كابول في نيسان/إبريل عام ١٩٩٢م، وإصرار فصائل المقاتلين الأكثر تشددًا على طرد المجموعات الأوزبكية بزعامة الجنرال عبد الرشيد دوستم من العاصمة الأفغانية[١٩٦].

وضاعف من المخاوف الإسرائيلية الخوف من تصاعد الأزمات الداخلية في دول آسيا الوسطى، بسبب وجود تداخل عرقي كبير بين طاجيكستان وأوزبكستان، فهناك حوالي ٢٥ بالمئة من سكان طاجيكستان ذوي أصول أوزبكية، ونحو ٢٠ بالمئة من سكان أوزبكستان ذوي أصول طاجيكية[١٩٧].

وبعد ظهور حركة طالبان في أفغانستان، واستيلائها على كابول، وصولاً إلى الحدود الأوزبكية عام ١٩٩٧م، كان نظام كريموف يعيش حالة من القلق والمخاوف من احتضان طالبان والقاعدة للحركات الإسلامية في أوزبكستان، وليعطي طشقند حافزًا لتعزيز علاقات تعاونها الأمني مع تل أبيب، ثم مع واشنطن، بعد أن غيّرت الأخيرة موقفها من حركة طالبان عقب نسف السفارتين الأمريكيتين في دار السلام ونيروبي[١٩٨].

---

[195] المصدر نفسه.

[196] هويدا سعيد، حقائق وأرقام.. آسيا الوسطى والقوقاز تشابك الثروات والأعراق والمصالح الدولية، البيان، ٢٠٠٢/١/٢٥م.

[197] المصدر نفسه.

[198] المصدر نفسه.

الإسرائيلي[190]، فمثلاً يبلغ المخزون النفطي لكازاخستان نحو ١٠ مليارات برميل، إضافة إلى نحو ٢ تريليون قدم مكعب من الغاز، بينما يقدر المحتمل من النفط بنحو ٣٠ مليار برميل [191].

وتتميز تركمانستان بأنها تمتلك مخزونًا من الغاز يفوق مخزونها من النفط، وهي الدولة الوحيدة من دول آسيا الوسطى التي تتاخم إيران، وما زالت ثرواتها المؤكدة قيد الاستكشاف، حيث لم تسلط الأضواء عليها كثيرًا حتى الآن [192].

د- سعي "إسرائيل" إلى أن تكون محطة لاستيراد نفط آسيا الوسطى وبحر قزوين[193].

٣- العوامل الأمنية:

استغلت "إسرائيل" تنامي تيار الأصولية الإسلامية في دول آسيا الوسطى، بحيث أصبحت مجابهة هذه الظاهرة هدفًا مشتركًا بينهما، باعتبار أن الأصولية الإسلامية تشكل بالنسبة إلى الطرفين "عدوًا مشتركًا"[194]. وفي هذا الاتجاه، وبرغم سقوط حركة طالبان، وهيمنة الإدارة الأمريكية على أفغانستان، لم

---

190 محمد أحمد يوسف، الكتلة الأكثر إثارة في التوازنات الجديدة.. دولة الكيان الصهيوني تتسلل إلى عمق آسيا الوسطى من الباب الخلفي، البيان، ٢٠٠٢/١/٢٥م.

191 النفط والجيوستراتيجية المعاصرة، مجلة علوم البيئة والطاقة، (٢٨ حزيران/يونيو ٢٠٠٦م).

192 المصدر نفسه.

193 نظام مارديني، خط النفط جيهان – تبليسي – باكو – إسرائيل تحميه وإيران تهدده"، الحياة، ٢٠٠٦/٩/٢٦م، ص١٥.

194 عدوان، النزاع الإسرائيلي – الإيراني في آسيا الوسطى والشرق الأوسط.

وقد زار نزار باييف، رئيس كازاخستان، "إسرائيل" في شباط/فبراير ١٩٩٣م، بناء على دعوة من حكومة رابين التي سعت إلى إقامة علاقات وثيقة مع كازاخستان، باعتبارها أكبر وأهم الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى[٢٠٣].

وقام نائب رئيس الوزراء التركمانستاني في عام ١٩٩٤م بزيارة رسمية إلى "إسرائيل"، ورد الزيارة وقتئذ شمعون بيريس[٢٠٤].

وفي شهر أيلول/سبتمبر عام ١٩٨٨م زار رئيس أوزبكستان إسلام كاريموف "إسرائيل"، ونتج من الزيارة إعداد البرنامج الخاص بطرق تطوير التعاون مع "إسرائيل"، الذي أقرته الحكومة الأوزبكية بعد زيارة كاريموف[٢٠٥].

ج- المشاركة في قمم دول آسيا الوسطى: دأبت "إسرائيل" على أن تتواجد داخل تخوم دول آسيا الوسطى من خلال المشاركة في النشاطات السياسية، ولم تحدث هذه الخطوة لولا انفتاح تلك الدول على "إسرائيل"، من خلال فتح الأبواب أمامها للجلوس سويًا على مائدة المؤتمرات التي تخص شؤونها، فمثلاً حضر شمعون بيريس، النائب الأول لرئيس الوزراء الإسرائيلي آنذاك، قمة دول آسيا الوسطى في كازاخستان التي عقدت في حزيران/يونيو ٢٠٠٦، والتقى بيريس على هامش القمة عددًا من الذين حضروا القمة، ومن بين المشاركين في القمة رئيسا روسيا والصين، ورئيس وزراء باكستان، ونائب الرئيس الإيراني[٢٠٦].

---

[203] القيسي، الغياب العربي – الإسلامي عن الساحة الآسيوية فتح الباب على مصراعيه: الاستراتيجية أمريكية، والتنفيذ صهيوني، والمصلحة مشتركة.

[204] بعباع، إسرائيل والجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى.

[205] ليوند سيوكيانين، تغلغل سياسي اقتصادي وأدوار مشبوهة للدولة الصهيونية الشريك الأصغر لأمريكا في آسيا الوسطى، البيان، ٢٠٠٢/١/٢٥م.

[206] شمعون بيريز يشارك في قمة دول آسيا الوسطى بكازاخستان، وكالة الأنباء القطرية، ٢٠٠٦/٦/١٦م. <http:www.qnaol.com>

ثانيًا: وسائل التغلغل الإسرائيلي في آسيا الوسطى:

١- الوسائل السياسية:

سخرت "إسرائيل" الوسائل السياسية كمنفذ للتغلغل في دول آسيا الوسطى، حيث تنوعت إلى ثلاثة مجالات، هي:

أ- إقامة علاقات دبلوماسية: بعد انهيار الاتحاد السوفيتي بدأت "إسرائيل" حملة لإقامة علاقات دبلوماسية مع دول آسيا الوسطى من خلال فتح سفارات لها في تلك الدول[١٩٩]. وقد اعترفت قرغيزستان بـ "إسرائيل" خلال الزيارة التي قام بها رئيسها السابق عسكر أكايف إلى "إسرائيل" في كانون الثاني/يناير عام ١٩٩٣م، وقد فتحت قرغيزستان سفارة لها في تل أبيب[٢٠٠]. وقد أكد ديفيد كيمحي، المدير العام السابق لوزارة الخارجية الإسرائيلية، أن "إسرائيل" قدمت الرِّشى إلى الحكام الشيوعيين مقابل إطلاق يد البعثات الإسرائيلية المختلفة في التحرك بحرية تامة داخل دول آسيا الوسطى[٢٠١].

ب- تبادل الزيارات الرسمية: كانت "إسرائيل" تبعث برجالها ووفودها الرسمية إلى دول آسيا الوسطى لتمتين العلاقات بين الطرفين، فمثلاً قام آرييه ليفي من وزارة الخارجية الإسرائيلية بزيارات إلى كل من كازاخستان وطاجيكستان وقرغيزستان وأوزبكستان، بحث من خلالها سبل إقامة التعاون الاقتصادي الشامل بينها وبين هذه البلدان[٢٠٢].

---

[199] جعفر عبد الرزاق، الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى والاستقطاب الدولي، الفكر الجديد، (٥ آذار/مارس ١٩٩٣م).

[200] خالد إبراهيم بعباع، إسرائيل والجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى، الدستور (عمان)، ٢٠٠٥/٤/٤م.

[201] نيازي صفر، طاجيكستان – المسلمون يواجهون خطر الاحتواء"، <http://www.darislam.com>

[202] مصطفى الطحان، "المنسيون" ورد في: <http://www.islamtoday.net> and <http://www.altareekh.com>.

من جانبها، اتفقت قرغيزستان مع "إسرائيل" في مناسبات عديدة في عقد التسعينيات من القرن المنصرم على التعاون في مجالات متعددة، منها: العلمية، والاتصالات، والتقنية، والمشاريع المشتركة، من خلال توقيع عدة اتفاقات اقتصادية بين الطرفين لتطوير مجالات العمل بينهما[٢١٢].

ويذكر أن حجم التجارة الثنائية بين "إسرائيل" وكل من كازاخستان وأوزبكستان هو حوالي ٢٠ مليون دولار سنويًا، إضافة إلى قيام عشرات من المشاريع المشتركة[٢١٣].

ب- إشراك الخبرات الإسرائيلية في المشاريع الاقتصادية: تمتلك "إسرائيل" خبرات متقدمة في المجالات الاقتصادية، وتسعى القيادة الإسرائيلية إلى توظيف هذه القدرات في مجال توسيع تغلغلها داخل دول آسيا الوسطى، حيث يتولى خبراء إسرائيليون إدارة المشاريع المشتركة، وتطوير البنية الاقتصادية، وتوريد التقنية المتطورة[٢١٤]. ومن أجل إنجاح الاستثمارات الإسرائيلية في دول آسيا الوسطى، واستغلالها كغطاء لعمل أجهزتها السرية، ومنها جهاز الاستخبارات الإسرائيلي "الموساد"، حيث زجت "إسرائيل" بشركات تابعة للجهاز للعمل في تلك المنطقة لجمع المعلومات، والتأشير إلى نقاط الضعف والقوة في تلك الدول؛ لتوظيفها في الاستراتيجية الإسرائيلية تجاه تلك المنطقة[٢١٥].

---

[212] المصدر نفسه.

[213] سيوكيانين، تغلغل سياسي اقتصادي وأدوار مشبوهة للدولة الصهيونية الشريك الأصغر لأمريكا في آسيا الوسطى.

[214] عبد الرزاق، الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى والاستقطاب الدولي.

[215] القيسي، الغياب العربي – الإسلامي عن الساحة الآسيوية فتح الباب على مصراعيه: الاستراتيجية أمريكية، والتنفيذ صهيوني، والمصلحة مشتركة.

٢- الوسائل الاقتصادية:

أ- توقيع اتفاقيات وعقود اقتصادية: حاولت "إسرائيل" أن تؤسس لها موطئ قدم اقتصاديًا في دول آسيا الوسطى، من خلال توقيع عقود اقتصادية تشمل المجالات الخدمية، والتنمية، والمشاريع الزراعية، وطرق الري، التي تمتلك "إسرائيل" خبرة متقدمة بها[٢٠٧].

وقد وقعت "إسرائيل" اتفاقًا مع طاجيكستان في شباط/فبراير ١٩٩٢م لنقل التقنية الزراعية الإسرائيلية، واستغلال النفط الخام الطاجيكي[٢٠٨]. أما أوزبكستان فقد وقعت مع "إسرائيل" اتفاقية في أيلول/سبتمبر ١٩٩٢م لبناء مشروع ري في إقليم "أنديزان"، وإنشاء مزارع نموذجية بتعاون مالي أمريكي، بالإضافة إلى تدريب خبراء في زراعة القطن، مما كان له أثره في زيادة إنتاج القطن بنسبة ٣٠ بالمئة، وتوفير ثلثي استهلاك المياه[٢٠٩].

وقد قام الإسرائيلي شاءول أيرنبيرغ، وهو أحد رجال الأعمال، بتوقيع عقود مع حكومة كازاخستان في عام ١٩٩٢م بمشاريع قيمتها مليار دولار، تتعلق بمشروعات خاصة بالري، والاتصالات، والنفط، وغيرها، وقد مهد أيرنبيرغ بهذه العقود المجال أمام حكومة "إسرائيل" لاستيعاب كازاخستان[٢١٠].

أما تركمانستان، فقد وقعت عدة اتفاقيات مع "إسرائيل" تتعلق بالتعليم والزراعة والصحة، حيث بلغت قيمة التبادل التجاري بين الطرفين عام ١٩٩٥م أربعين مليون دولار[٢١١].

---

[207] عبد الرزاق، الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى والاستقطاب الدولي.

[208] بعباع، إسرائيل والجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى.

[209] المصدر نفسه.

[210] القيسي، الغياب العربي - الإسلامي عن الساحة الآسيوية فتح الباب على مصراعيه: الاستراتيجية أمريكية، والتنفيذ صهيوني، والمصلحة مشتركة".

[211] بعباع، المصدر نفسه.

الموانئ الإسرائيلية بالعمل في الموانئ الخليجية، ومن ثم كسر واختراق المقاطعة العربية في هذا المجال الحيوي لإدخال "إسرائيل" من الباب الخلفي في مشروعات الشرق الأوسط[٢١٩].

و- **تقديم المساعدات الاقتصادية:** بادر عدد من رجال الأعمال الإسرائيليين إلى زيارة دول آسيا الوسطى بعد انهيار الاتحاد السوفيتي؛ ليوحوا أنه ليس ثمة أمر يدعو إلى الخوف من "إسرائيل"[٢٢٠].

ز- **عقد المؤتمرات الاقتصادية:** بعد أقل من ثلاثة أشهر على انهيار الاتحاد السوفيتي، كانت "إسرائيل" قد نظمت في العاصمة الأوزبكية طشقند أول مؤتمر اقتصادي مشترك بينها وبين دول آسيا الوسطى في آذار/مارس ١٩٩٢م، لبحث احتياجات تلك الدول من المشروعات والمساعدات الاقتصادية، والدور الذي يمكن أن تقوم به "إسرائيل" في تلبيتها[٢٢١].

٣- الوسائل الأمنية:

تعتبر الحركة الإسلامية داخل تلك الدول، ومن أبرزها طاجيكستان، من أنشط وأقوى الحركات الإسلامية في المنطقة[٢٢٢].

---

[219] وليد خدوري، الأبعاد النفطية في العلاقات الخليجية – الأمريكية، شبكة البصرة، ٢٠٠٥/٢/١٤م.

[220] محمد سعد أبو عامود، في ظل أخطاء السياسة العربية والتحولات الاستراتيجية.. أمريكا ودولة الكيان وسيناريوهات المصالح المشتركة في آسيا، البيان، ٢٠٠٢/١/٢٥م.

[221] سعيد، حقائق وأرقام.. آسيا الوسطى والقوقاز تشابك الثروات والأعراق والمصالح الدولية.

[222] المصدر نفسه.

ج- تشجيع المستثمرين الإسرائيليين للعمل في دول آسيا الوسطى: قامت "إسرائيل" عن طريق شركة "ديفي" في كازاخستان بزيادة منتوج الحليب بنسبة ٦ بالمئة، وخفضت كلفة الإنتاج إلى حد كبير، كما قامت باستثمارات محلية في قطاع المصارف والمحلات التجارية الكبرى والاتصالات[٢١٦].

وفي عام ١٩٩٢ كانت شركة "بيزك" الإسرائيلية للاتصالات قد بدأت في تطوير شبكة الاتصالات الكازاخية، وكانت شركة "كباليم" قد اتفقت على إقامة مصنع للكابلات المحورية[٢١٧].

د- إنشاء خطوط نقل الغاز من دول آسيا الوسطى إلى منطقة الشرق الأوسط: حاولت "إسرائيل" إيجاد منافذ خارج المنطقة العربية لتوريد المنتجات النفطية، ومنها الغاز إلى موانئها، ومن هذه المنافذ دول آسيا الوسطى، حيث تنعم أرضها بثروات هائلة من النفط والغاز. وقد وقعت في منتصف عقد التسعينيات من القرن المنصرم عقدًا من تركمانستان بقيمة ٥٠٠ مليون دولار لتقوية مصفاة تكرير النفط في تركمانستان، فضلاً عن مد خط أنابيب غاز عبر تركيا لإيصاله إلى "إسرائيل" بواسطة شركة "مرهاف" [٢١٨].

هـ- تسهيل استقبال ناقلات النفط من آسيا الوسطى في الموانئ الإسرائيلية: من ضمن وسائل الترغيب الإسرائيلية مع دول آسيا الوسطى اتفاقها مع الشركات الغربية التي تشتري النفط الروسي، أو نفط دول آسيا الوسطى وبحر قزوين، على استعمال أراضيها كممر ترانزيت لهذا النفط، حيث يتبادر إلى الذهن للوهلة الأولى أن هذه محاولة لكسر الاعتماد على قناة السويس، إلا أن الهدف الآخر غير المعلن هو السماح للناقلات التي ترسو في

---

[216] بعباع، إسرائيل والجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى.

[217] سعيد، حقائق وأرقام: آسيا الوسطى والقوقاز تشابك الثروات والأعراق والمصالح الدولية.

[218] بعباع، المصدر نفسه.

وقد استغلت "إسرائيل" حالة الصراع السياسي الذي شهدته دول هذه المنطقة بين أنظمتها السياسية، وحركات معارضة مسلحة، غالبًا إسلامية، ترى الأنظمة السياسية الحاكمة في آسيا الوسطى، كأنظمة علمانية، استمرارًا للنظام الشيوعي السوفيتي. وقد عزفت "إسرائيل" على هذا الوتر، واتكأت على مخاوف هذه الدول لإبعادها عن احتمال بناء علاقات قوية مع العالم العربي والإسلامي، بوصفه المحيط الطبيعي لحركة هذه الدول[٢٢٥].

ثالثًا: العوامل المؤثرة في التغلغل الإسرائيلي في آسيا الوسطى

١- العوامل الداخلية:

تجتمع عدة متغيرات داخلية لتؤثر في عملية التغلغل الإسرائيلي في آسيا الوسطى، وهي:

أ- وجود الموارد الطبيعية: تعتبر آسيا الوسطى، أو "ترانس أوكسانيا"، وهو الاسم الذي كانت تعرف به حتى بداية القرن العشرين، وهي ترجمة لاتينية للاسم الذي أطلقة العرب عندما فتحوا تلك المنطقة في القرن الهجري الأول، وهو "بلاد ما وراء النهر"[٢٢٦]، وتضم كلاً من أوزبكستان وطاجيكستان وكازاخستان وتركمانستان وقرغيزستان، من المناطق التي تزخر تربتها بأنواع مختلفة من المعادن والثروات الطبيعية، وسيتم تناولها بنوع من التفصيل[٢٢٧].

---

[225] ممدوح الشيخ، مخططات غربية صهيونية: حضور الكيان الصهيوني في آسيا الوسطى ليس المشكلة بل غيابنا، البيان، ٢٠٠٢/١/٢٥م.

[226] سعيد، حقائق وأرقام.. آسيا الوسطى والقوقاز تشابك الثروات والأعراق والمصالح الدولية.

[227] المصدر نفسه.

وتفسر بعض الدراسات أسباب قوة الشعور الإسلامي الذاتي لدى الشعب الطاجيكي أكثر مما هو موجود لدى بقية شعوب آسيا الوسطى، بما يأتي(٤١):

تأثير الثورة الإسلامية الإيرانية التي ساهمت كثيرًا في إيقاظ الوعي الديني، حيث استفادت الحركة الإسلامية الطاجيكية في توجيه الشباب من عامل اللغة التي تجمعهم مع إيران، وكانت كتب المفكر مرتضى مطهري من الكتب الإسلامية التي كان يجري تداولها سرًا بين أعضاء حزب النهضة الإسلامية.

كان للحركة الأفغانية ضد الأنظمة الشيوعية والاحتلال العسكري السوفيتي للبلاد أثر كبير في هذا الإطار، فعلاقة الطاجيك وثيقة بالشعب الأفغاني الذي يشكل الطاجيك الأفغان ٣٠ بالمئة منهم.

وتبعًا لذلك، وخشية من اتساع المد الإسلامي داخل دول آسيا الوسطى، حاولت "إسرائيل" أن تعرض خدماتها الأمنية والاستخباراتية لمساعدة نظم الحكم في تلك الدول لمجابهة الحركات الأصولية المناهضة لها، إذ بدأت في عقد التسعينيات من القرن المنصرم بتنظيم دورات لتدريب كوادر أجهزة المخابرات في دول آسيا الوسطى، وفي مقدمتها أوزبكستان، على أساليب مكافحة ما يسمى بـ "الإرهاب"، مستندة في ذلك إلى خبرتها في مواجهة المنظمات الفلسطينية الوطنية، والحركة الوطنية اللبنانية، وخاصة منظمات حماس والجهاد وحزب الله[٢٢٣].

ومن جانب آخر، كشفت نشرة عسكرية إسرائيلية النقاب عن وجود خبراء عسكريين إسرائيليين في بشكيك، عاصمة قرغيزستان، للمساعدة على إنشاء وتدريب قوة تدخل سريع لمحاربة الحركات الإسلامية([٢٢٤].

---

[223] سعيد، المصدر نفسه.

[224] عدوان، النزاع الإسرائيلي – الإيراني في آسيا الوسطى والشرق الأوسط.

بخارى حوالي ٨ آلاف يهودي، وفي أوزبكستان يوجد أقل من ٣٠ ألف يهودي[٢٢٩].

وقد اهتمت "إسرائيل" بالجاليات اليهودية في دول آسيا الوسطى التي كانت منضوية تحت المنظومة الاشتراكية في عهد الاتحاد السوفيتي السابق، وسعت إلى تهجيرهم إلى "إسرائيل" لمعالجة الخلل الديمغرافي هناك، حيث كان عام ١٩٨٩م، وهو العام الذي بدأ يشهد تدفقًا كبيرًا من الهجرة اليهودية من دول الاتحاد السوفيتي السابق باتجاه الأراضي الفلسطينية المحتلة، إذ بلغ عدد المهاجرين ١,٤٥ مليون مهاجر[٢٣٠].

وفي عام ٢٠٠٢م، بلغ عدد المهاجرين ١٨٥,٠٠٠، بينما قدم إلى "إسرائيل" عام ٢٠٠٣م، ١٢٥٠٠٠ مهاجر، ويعتبر نصفهم تقريبًا من غير اليهود في اعتقاد الحاخامية، لكن ذلك لا يمنعهم من الاستفادة من قانون العودة، حيث يمنحون الجنسية الإسرائيلية بصفتهم أهالي لليهود[٢٣١].

أما في عام ٢٠٠٤م، فقد أشارت وزارة الاستيعاب الإسرائيلية إلى تراجع أرقام الهجرة، حيث لم يتعد الرقم ٢٢ ألف مهاجر يهودي. وتضيف المعطيات أن ١٤٣ ألف مولود جديد قد ولدوا في العام نفسه في "إسرائيل"[٢٣٢]. وترى بعض الدراسات أن سبب انخفاض عدد المهاجرين يعود إلى تراجع كبير في عدد القادمين من دول الاتحاد السوفيتي السابق[٢٣٣]. أما في عام

---

229 سيوكيانين، تغلغل سياسي اقتصادي وأدوار مشبوهة للدولة الصهيونية الشريك الأصغر لأمريكا في آسيا الوسطى.

230 نبيل السهلي، إسرائيل وحصاد عام ٢٠٠٤، نشرة الملف، العدد ١٥٦، ورد في شبكة المشكاة الإسلامية.

231 تراجع جديد للهجرة في إسرائيل خلال عام ٢٠٠٣، معهد الشرق العربي (لندن)، <http://www.thisissyria.net>.

232 السهلي، المصدر نفسه.

233 محمد إسماعيل، الهجرة اليهودية في تراجع مستمر، مركز العودة الفلسطيني (لندن)، النشرة الرقم ١٤٨، (نيسان/إبريل ٢٠٠٤).

(١) أوزبكستان: تعتبر أكبر دول آسيا الوسطى، حيث بلغ عدد السكان عام ٢٠٠١، ٢٤ مليون نسمة، وثانيتها من حيث مستوى التقدم الصناعي والعلمي والتقني بعد كازاخستان، وعلاوة على ذلك تتمتع أوزبكستان بثروات طبيعية كبيرة من الذهب، والفضة، واليورانيوم، والنحاس، والزنك، فضلاً على الغاز الطبيعي والفحم وغيرها، وهي تعتبر سادسة دول العالم في إنتاج الذهب بمعدل إنتاج ٧٠ طنًا سنويًا، ورابعتها من حيث احتياطيات ذلك الخام الفضي الذي يبلغ ٤ ملايين طن. ومعروف أن لديها القدرة على تخصيب اليورانيوم، وبالإضافة إلى ذلك تتمتع أوزبكستان بموقع جغرافي استراتيجي وفريد في قلب آسيا الوسطى.

(٢) طاجيكستان: تمتلك مناجم كبيرة من اليورانيوم تم اكتشافها في الثلاثينيات؛ وفي عام ١٩٤٦م، وفي مدينة تابوشا الطاجيكية، تم تشييد أول معمل سوفيتي لاستخلاص اليورانيوم الذي استخدم كمادة أولية في تصنيع بلوتونيوم القنبلة الذرية.

وفي ٢٩ آب/أغسطس ١٩٤٩م، تم تفجير أول قنبلة بلوتونيومية مصنوعة من اليورانيوم الطاجيكي الموجود في مناجم أورسمان وتابوشار، وهناك مصنع للصواريخ في منجم ناوجزران – تشيغريك، ومنجم كيزل صهر الذي يحتوي إلى جانب اليورانيوم على ثروات من الذهب.

ب- وجود الجاليات اليهودية: يقدر عدد اليهود الموجودين في منطقة آسيا الوسطى ينحو ١٢ بالمئة ضمن إجمالي اليهود السوفيت[٢٢٨]، حيث يوجد في

---

[228] عبد الوهاب المسيري، هجرة اليهود السوفيت.. منهج في الرصد وتحليل المعلومات، كتاب الهلال ٤٨ (القاهرة، دار الهلال، ١٩٩٠)، ص١٤٩.

تنظيم الجاليات اليهودية في المنطقة، وتهجير المطلوب هجرتهم من بين أفرادها، وتوظيف البعض منهم لصالح أجندتها السياسية والاستخباراتية[٢٣٧]. ويعتبر هذا الجهاز ذراعًا قوية للتغلغل الإسرائيلي في هذه الدول، ثم لم تبخل "إسرائيل" أن توظف جالياتها اليهودية في المنطقة، باعتبارها أدوات لتسهيل السيطرة الأمريكية، وفتح الأبواب أمامها، والضغط على الحكومات المحلية إذا تلكأت في ذلك[٢٣٨].

ج- **القدرات والخبرات التقنية النووية:** ورثت دول آسيا الوسطى قدرات وخبرات نووية عالية الكفاءة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي. وقد أثارت الدول الغربية ضجة كبيرة حول احتمالات حصول بلدان عربية على السلاح النووي عام ٢٠٠٢ من إحدى الجمهوريات التي استقلت عن الكتلة الشرقية، وسارعت الولايات المتحدة الأمريكية و"إسرائيل" إلى اختراق تلك الجمهوريات الحديثة الاستقلال؛ لمحاصرة أي علاقات وثيقة بينها وبين البلدان العربية، ومنع أي احتمالات للتعاون في المجال النووي من هذه الدول، خشية من انتقال الخبرات النووية إلى العالم الإسلامي والوطن العربي[٢٣٩].

وقد اشترت شركة "سابينون ليمتد"، وهي أحد فروع شركة "أفريطا – إسرائيل إنفيستمنت" الإسرائيلية القابضة، مجمع تسيليفا للتعدين والكيمياء في كازاخستان بكل موجوداته، وهو أحد أكبر مجمعات معالجة اليورانيوم، ويبلغ إنتاجه نحو ١٥٦٠-١٨٠٠ طن سنويًا[٢٤٠].

---

[237] أبو النور، آسيا الوسطى – منطقة جديدة للصراع والتوغل الصهيوني.

[238] المصدر نفسه.

[239] عبد الله حمودة، افتراضات، الوطن، ٢٠٠٢/٩/٩م، والطحان، "المنسيون".

[240] سعيد، حقائق وأرقام: آسيا الوسطى والقوقاز تشابك الثروات والأعراق والمصالح الدولية.

٢٠٠٦، فوصل إلى "إسرائيل" ٢١ ألف مهاجر، منهم ٩٣٠٠ مهاجر من دول الاتحاد السوفيتي السابق، و٢٥٠٠ من فرنسا، و٢٠٠٠ من الولايات المتحدة الأمريكية[٢٣٤].

وقد نقلت الإذاعة العبرية عن تقرير سري للشرطة الإسرائيلية أن مهاجرين من دول الاتحاد السوفيتي السابق أقاموا ١٣ تنظيمًا إجرامًيا في "إسرائيل" تنشط في مختلف المجالات، خاصة في مجالات تبييض الأموال، والابتزاز المالي، والاتجار بالنساء، والزنى، والتزييف والخداع[٢٣٥].

وقد أشارت بعض الدراسات إلى أسباب كثيرة لهجرة اليهود من دول آسيا الوسطى إلى "إسرائيل"، بينها عدم مراعاة السلطة لتأمين الظروف الثقافية والدينية الملائمة لليهود القاطنين في هذه المنطقة، وإضافة إلى ذلك يجب الأخذ بعين الاعتبار الظروف الاقتصادية المتأزمة، ومستوى المعيشة المتدني، حيث لا يتجاوز معدل الراتب الشهري في المنطقة ٩٠ دولارًا[٢٣٦].

وبعد تزايد النشاط الإسرائيلي في آسيا الوسطى تغيرت الاستراتيجية الإسرائيلية من استقدامهم، أي اليهود الذي يرغبون في الهجرة إلى "إسرائيل" إلى تشجيعهم على البقاء في دولهم، وتشكيل لوبيات للتأثير في صنع القرار في دول آسيا الوسطى.

وفعلاً بدأت "إسرائيل" عملية منظمة للإشراف على هذه اللوبيات، وخاصة عن طريق أحد أجهزتها السرية، "الموساد" الإسرائيلي، الذي أدى دورًا مهمًا داخلها منذ العهد السوفيتي، من خلال جهاز خاص يتبع لرئاسة الوزراء الإسرائيلية مباشرة يدعى جهاز "الفافيت"، وهو الجهاز المسؤول عن

---

[234] علي بدوان، الدولة الصهيونية بعد ٥٨ سنة من قيامها، الوطن (الدوحة)، ٢٠٠٦/٥/٧م.

[235] نقلاً عن: الإذاعة العبرية (نيسان/أبريل ٢٠٠٦)، إنصات شخصي.

[236] سيوكيانين، تغلغل سياسي اقتصادي وأدوار مشبوهة للدولة الصهيونية الشريك الأصغر لأمريكا في آسيا الوسطى.

شواطئ هذه الدول على هذا البحر)، بفعل ثرواتها الضخمة من النفط والغاز، إلى مركز استقطاب لصراعات بين قوى متعددة، إقليمية ودولية[٢٤٣].

أما الرأي الثاني: فإنه يشدد على فاعلية الدور العربي في دول آسيا الوسطى، وخاصة الدور السعودي والمصري، الذي يرتبط بالضغوط الأمريكية والغربية لتوظيف هذا الدور لصالحهما، وخاصة خـ " الاستراتيجية الأمريكية والإسرائيلية في المنطقة. ولعل جمهور العربية السعودية ومصر يهدف إلى محاصرة النفوذ الإيراني، وخلق فجوة سياسية وفكرية وعقائدية بين هذه الدول وإيران، مستغلة في ذلك بعض مضامين الإسلام، كاللغة العربية ومدى قداستها بين أبناء الشعوب المسلمة، وأن الإسلام جاء من العرب، وبشر به العرب، والعرب أقدر على فهمه من غيرهم، وأن ما تقوم به طهران، وفق رأيهما، لا يهدف سوى إلى إثارة المشاكل، وأن طهران تعيش في أزمة علاقات مع العالم، ولا يمكن الاطمئنان إلى توجهاتها، وأنها على علاقة وثيقة بل وداعمة للتيار الأصولي الذي يؤمن بالعنف، إضافة إلى تورطها في تأييد منظمات وأعمال تدخل في نطاق التدخل في الشؤون الداخلية لدول آسيا الوسطى[٢٤٤].

ويمكن استعراض الدور السعودي والمصري في دول آسيا الوسطى بالتالي:

- الدور السعودي: حاولت العربية السعودية التحرك في دول آسيا الوسطى من خلال الوسائل التالية[٢٤٥]:
- تولي العربية السعودية عناية كبيرة لبناء المساجد والمدارس، وتخريج الوعاظ.

---

243 المصدر نفسه.

244 عبد الرزاق، الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى والاستقطاب الدولي.

245 المصدر نفسه.

وقد اشترت الشركة الإسرائيلية المجمع الكازاخي الضخم بكل موجوداته بمبلغ ثلاثمئة وثلاثة عشر ألفًا وستمئة دولار، مع التزام الشركة بدفع أجور العاملين المتأخرة، بما يعادل مليونين وثلاثمئة وخمسين ألف دولار. وقد كلفت الصفقة كلها "إسرائيل" ما يعادل مليونين وستمئة وثلاثة وستين ألف دولار [٢٤١].

٢- العوامل الإقليمية:

أ- الموقف العربي: يتصارع رأيان مختلفان حول طبيعة الموقف العربي من دول آسيا الوسطى: الأول يقلل من فاعلية هذا الدور لاعتبارات عديدة، فبالرغم من أن رئيس أوزبكستان كان أول من زار البلدان العربية بعد انهيار الاتحاد السوفيتي السابق للبحث في إمكانية إقامة تعاون اقتصادي بينها وبين هذه الدول، وإمكانية الاستثمارات العربية فيها، إلا أنه لم يجد استجابة عربية لمتطلبات بلاده، كما أن التعاطف العربي مع النخب الدينية الإسلامية المعارضة جعل النخبة الحاكمة الأوزبكية، على سبيل المثال لا الحصر، تتجه إلى الولايات المتحدة الأمريكية و"إسرائيل"، ذلك لأن النخبة الحاكمة الأوزبكية اقتنعت بمحدودية المصالح المشتركة بين دولها والوطن العربي، كما أنها رأت في المساعدات العربية الرامية إلى رفع الوعي الديني محاولة عربية للتدخل في الصراع السياسي القائم لصالح الجماعات الدينية المعارضة، الأمر الذي يضعف موقفها الداخلي. ومن ثم، فقد كان لهذه المساعدات العربية غير القائمة على معرفة دقيقة بالأوضاع السياسية في هذه الدول أثر سلبي في علاقات هذه الدول بالبلدان العربية[٢٤٢].

وترى بعض الدراسات أن سبب عزوف دول آسيا الوسطى عن التوجه إلى الجانب العربي، هو تحول منطقة بحر قزوين (إذ تقع بعض

---

[241] المصدر نفسه.

[242] أبو عامود، في ظل أخطاء السياسة العربية والتحولات الاستراتيجية.. أمريكا ودولة الكيان وسيناريوهات المصالح المشتركة في آسيا.

- يمثل الوجود العسكري الأمريكي في دول آسيا الوسطى وبحر قزوين هاجسًا أساسيًا لكل من إيران وكازاخستان، حيث يؤثر مباشرة في استقرارهما الأمني والاقتصادي، خصوصًا في ضوء التوجه الأمريكي لتغيير مسارات خطوط أنابيب الطاقة إلى بدائل أخرى، رغم أنها ليست البدائل الأفضل اقتصاديًا.
- توقيع إيران وكازاخستان عددًا من اتفاقيات التعاون المشترك فيما بينهما في مختلف المجالات.

إلا أن الدراسات السابقة نفسها تحاول التقليل من عوامل التقارب الواردة سلفًا بين إيران وكازاخستان بفعل وجود موضوعات وقضايا مهمة تذكي روح المنافسة بينهما، حيث تتركز في قضيتين أساسيتين[٢٤٩]: أولاهما، تحديد النظام القانوني لتقسيم ثروات بحر قزوين الذي تطل عليه خمس دول، هي: كازاخستان وتركمانستان وأذربيجان وإيران وروسيا، حيث تعقدت عقب انهيار الاتحاد السوفيتي الأمور كثيرًا بين إيران وكازاخستان المتشاطئتين، نتيجة الخلاف حول تقسيم ثروات بحر قزوين، حيث ترى إيران أن تقسيم ثروات البحر يجب أن تكون وفقًا لموقع الدول المطلة عليه، وهي الدول الإسلامية الأربع: كازاخستان وتركمانستان وأذربيجان وإيران، بالإضافة إلى روسيا.

أما كازاخستان، فتقترح تقسيم ثروات البحر بطريقة المشاع، ونظرًا إلى هذا الاختلاف حول النظام القانوني لتقسيم ثروات بحر قزوين، فقد تهيأ المجال لتغلغل النفوذ الأمريكي إلى المنطقة، مما أدى إلى مزيد من حالة التنافسية وعدم الاستقرار، باعتباره نتيجة طبيعية لاختلاف المصالح السياسية والاقتصادية. وثانيتهما، المشروعات المستقبلية لخطوط نقل الطاقة (النفط والغاز الطبيعي).

---

249 المصدر نفسه.

- توزيع القرآن الكريم.
- قبول الشباب للدراسة في الجامعات السعودية ليتخرجوا أئمة مساجد.
- الدور المصري: لم تكن مصر بعيدة عن دول آسيا الوسطى، حيث سعت إلى توطيد علاقاتها من خلال عدة اتجاهات[٢٤٦]:
- إبرام الاتفاقيات الثقافية والتجارية معها.
- استقبال مصر وجامعة الأزهر مئات الطلاب المسلمين الذين كانوا يتوافدون لدراسة العلوم الإسلامية في جامعاتها.
- سعي مصر إلى أن تكون دول آسيا الوسطى سوقًا جديدًا لتصريف منتجاتها.

ب- الموقف الإيراني:

(١) الوسائل السياسية[٢٤٧]:

- بادرت إيران إلى افتتاح سفارات لها في الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى لتواكب عملية بناء العلاقات السياسية والاقتصادية المتصاعدة بين الطرفين.
- تمت زيارات رسمية لرؤساء ووزراء من الطرفين، وأجريت محادثات مشتركة بصدد العديد من القضايا التي تهم الأطراف جميعًا.

وتؤشر بعض الدراسات إلى عوامل التقارب بين إيران وبعض دول آسيا الوسطى، ومنها كازاخستان، وخاصة في المجال السياسي، لعل من أبرزها[٢٤٨]:

---

246 المصدر نفسه.

247 المصدر نفسه.

248 حسين صوفي محمد، إيران وكازاخستان.. محددات التقارب، مختارات إيرانية، العدد ٦٩ (نيسان/إبريل ٢٠٠٦).

المشتركة هي التي تدفع التيار القومي في تركيا إلى ضرورة تمتين "الدائرة الثقافية التركية"، وإحياء الأمجاد الماضية لتركستان، التي يجب أن تقودها تركيا باعتبارها الوريث الحضاري والثقافي لها[٢٥٣].

وترى بعض الدراسات أن سبب اندفاع تركيا نحو دول آسيا الوسطى هو إرساء قواعد نظام إقليمي في آسيا الوسطى وبلاد القوقاز تحت زعامتها وقيادتها، بحكم خبرتها، وتجاربها الطويلة، ونفوذها السياسي، وموقعها الجغرافي، وثقلها الدولي، باعتبار أنها عضو في حلف الأطلسي، وهي قادرة على إعطاء قدوة لهذه الدول الوليدة، وخاصة في مجالات الثقافة والنظام السياسي والتنمية الاقتصادية[٢٥٤].

وقد اتبعت تركيا استراتيجية عملية للتحرك نحو دول آسيا الوسطى لتمتين العلاقات معها، وتتمثل في [٢٥٥]:

- تقديم تركيا المساعدات الاقتصادية المحدودة.
- زيادة حجم الاستثمار المالي التركي في دول آسيا الوسطى.
- أرسلت تركيا آلاف الخبراء والفنيين للعمل في شتى حقول النشاطات الاقتصادية والفنية والبضائع ومحطات الطاقة والإدارة.
- عقدت تركيا اتفاقات عديدة مع دول آسيا الوسطى لتنفيذ مشاريع تنموية من قبل الشركات التركية، وهي تهدف إلى تشغيل آلاف الأيدي العاملة، وتقليل نسبة البطالة المتفشية فيها.

---

253 عبد الرزاق، المصدر نفسه.

254 المصدر نفسه.

255 المصدر نفسه.

(٢) الوسائل الاقتصادية[٢٥٠]:

- توسيع التبادل التجاري بين إيران ودول آسيا الوسطى.
- تصدير المواد الزراعية والمنتجات الصناعية، وبشروط ميسرة تلائم اقتصاديات دول آسيا الوسطى التي ما زالت تعاني متاعب وصعوبات جمة.
- افتتاح مصارف إيرانية في دول آسيا الوسطى قادرة على تأمين الاعتمادات اللازمة لعمليات الاستيراد والتصدير.

(٣) الوسائل الثقافية[٢٥١]:

- نشر الكتاب الإسلامي الذي يصدر عن دور نشر إيرانية.
- تأسيس المساجد والمراكز الدينية.
- إرسال كفاءات وخبرات في المجالين الديني والثقافي.

ج- الموقف التركي: سخرت "إسرائيل" علاقاتها مع تركيا لصالح تسهيل عملية تغلغلها في دول آسيا الوسطى، وتأمل "إسرائيل" في أن تفتح تركيا الطريق أمامها إلى هذه الدول، مقابل فتح الطريق التركي للولوج في أحداث منطقة الشرق الأوسط والقضية الفلسطينية بالذات[٢٥٢].

وجدير بالذكر، أن هناك علاقات مشتركة بين تركيا ودول آسيا الوسطى، فأغلب شعوب هذه الدول يتحدث بالتركية، أو لهجة متفرعة عنها، عدا طاجيكستان التي تتحدث الفارسية. كما أن المنطقة تعرضت للتتريك منذ القرن الثاني عشر حتى عرفت بـ 'تركستان"، وبقيت تربطها بها علاقات قوية حتى انهيار الإمبراطورية العثمانية. وتبعًا لذلك، فإن هذه السمات

---

250 عبد الرزاق، الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى والاستقطاب الدولي.

251 المصدر نفسه.

252 صفر، طاجيكستان – المسلمون يواجهون خطر الاحتواء.

المنصرم، لإيقاف الاعتماد على نفط منطقة الخليج العربي، ومحاولة إيجاد بدائل أو مصادر طاقوية أخرى[٢٥٨].

وإضافة إلى ما ذكر، فإن المصالح الأمريكية والإسرائيلية تلتقي حول استراتيجية واحدة، مفادها تحييد دور إيران في دول آسيا الوسطى، خشية من التقارب بين إيران والشعوب المسلمة في هذه الدول، ومخافة أن يؤدي ذلك إلى نمو التيار الإسلامي "الأصولي" بتأثير التمدد الثقافي والسياسي في تقوية هذا التيار في كل المنطقة، أي من آسيا الوسطى إلى الشرق الأوسط، إلى شمالي إفريقيا، وتهدف استراتيجية واشنطن إلى احتواء هذه الخطر قبل اتساعه وفقدان السيطرة عليه، لأن نمو التيار الإسلامي الثوري سيرسخ الحقيقة القائلة: إن الجولة الحضارية القادمة ستكون بين الإسلام والأيديولوجيا الغربية[٢٥٩].

وقد حاولت الولايات المتحدة الأمريكية أن تضفي الطابع الأمريكي على استراتيجيتها تجاه دول آسيا الوسطى، وكما حدد ذلك نائب وزير الخارجية الأمريكية السابق، ستروب تالبون، في خطاب له ضمن أنشطة مركز آسيا الوسطى والقوقاز، حيث أشار إلى أن الاستراتيجية الأمريكية للدخول في المنطقة، أو اختراقها، أو الهيمنة عليها تقوم على الأسس التالية[٢٦٠]:

- تطوير الديمقراطية.
- خلق اقتصاد السوق الحرة.
- احتضان السلم والتعاون بين دول المنطقة.
- إدماج دول المنطقة في منظومة المجتمع الدولي.

---

258 خدوري، الأبعاد النفطية في العلاقات الخليجية – الأمريكية.

259 عبد الرزاق، الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى والاستقطاب الدولي.

260 سعيد، حقائق وأرقام.. آسيا الوسطى والقوقاز تشابك الثروات والأعراق والمصالح الدولية.

٣- العوامل الدولية:

تحتل منطقة آسيا الوسطى أهمية بالغة بالنسبة إلى القوى الكبرى، وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية للأسباب التالية[٢٥٦]:

- ضمان عدم عودة الدول المستقلة إلى مجال النفوذ الروسي.
- عدم ارتهان ثروات هذه المنطقة للهيمنة الروسية.
- الحيلولة دون مد النفوذ الصيني من الشرق، والنفوذ الإيراني من الجنوب إلى المنطقة.

ونتيجة لوقوع شواطئ بعض دول آسيا الوسطى على بحر قزوين، فإن التطلعات الاستراتيجية الأمريكية تهتم بهذه المنطقة نتيجة للعوامل التالية[٢٥٧]:

- الحيلولة دون هيمنة روسية على النفط توفر لروسيا أموالاً طائلة تمكنها من تطوير صناعتها النفطية الخاصة.
- الحيلولة دون تحول روسيا إلى مزود رئيس مباشر بالنفط بالنسبة إلى أوروبا.
- ضمان تدفق نفط بحر قزوين إلى العالم من خلال يد أمريكية.
- تخفيض أسعار النفط إلى حد لا يضر بمصالح الشركات الدولية.
- إيجاد التوازن بين منطقة بحر قزوين ومنطقة الخليج العربي، بحيث لا تعود منطقة الخليج تتمتع بالمزايا الاستراتيجية الراهنة.

وترى بعض الدراسات أن من الأسباب التي حفزت الولايات المتحدة الأمريكية على دعم التغلغل الإسرائيلي في دول آسيا الوسطى، ما يعود إلى تطويرها فكرة ومشروع "الاستقلال" منذ أواخر السبعينيات من القرن

---

256 النفط والجيوستراتيجية المعاصرة.

257 المصدر نفسه.

في العلاقات بين العرب ودول آسيا الوسطى، والثاني ينفي أي تأثير للتغلغل الإسرائيلي في العلاقات بين العرب ودول آسيا الوسطى، وستتم معالجتهما تباعًا.

السيناريو الأول: يؤثر التغلغل الإسرائيلي في العلاقات بين العرب ودول آسيا الوسطى، ومن بين أهداف "إسرائيل" بالتضامن مع الولايات المتحدة الأمريكية من التغلغل في آسيا الوسطى، هو منع تسرب التقنية والموارد والخبرات النووية، وكذلك تقنية الصواريخ وغيرها من الأسلحة التقليدية، أو فوق التقليدية المتطورة الموروثة عن العهد السوفيتي من دول آسيا الوسطى، وخاصة كازاخستان وأوزبكستان، إلى البلدان العربية، حرصًا على احتفاظ "إسرائيل" بتفوقها العسكري النوعي[٢٦٢].

ولاشك في أن هذا المتغير سيؤثر في العلاقات بين العرب ودول آسيا الوسطى، حيث ستميل الأخيرة إلى تسخير خبراتها لـ"إسرائيل" أكثر من العرب، ولاسيما أن "إسرائيل" والولايات المتحدة الأمريكية عملا على استخدام وسائل الترغيب تجاه دول آسيا الوسطى، ومن ضمنها دعمها بالمساعدات الاقتصادية، ولاسيما أن هذه الدول ورثت هياكل اقتصادية ضعيفة من النظم الشمولية، ولا توجد حركة اقتصادية تساعدها على مجابهة التحديات الاقتصادية بعد عقد التسعينيات من القرن المنصرم، وأبرزها عولمة الاقتصاد، واتباع نهج اقتصاد السوق والخصخصة.

وتبعًا لذلك، تسعى "إسرائيل" إلى إطباق العزلة على البلدان العربية، ومنعها من الدخول في النادي النووي، بالرغم من الفرصة التاريخية التي توفرت لها بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، من خلال توفر الخبرات النووية والقدرات في هذا المجال في دول آسيا الوسطى، التي قد تساعد على انتقال هذه إلى البلدان العربية، من أجل تطوير قدراتها وخبراتها النووية للموازنة مع

---

[262] أبو النور، آسيا الوسطى – منطقة جديدة للصراع والتوغل الصهيوني.

وقد حاولت الولايات المتحدة الأمريكية إقامة حكومات قريبة لواشنطن ومتحالفة معها على أقل تقدير في منظومة دول آسيا الوسطى، وهذه المتغيرات تلاقت مع توجهات النخب الحاكمة، وخاصة في جمهورية أوزبكستان التي حاولت بناء علاقات جيدة مع الولايات المتحدة الأمريكية و"إسرائيل" للأسباب التالية[٢٦١]:

- خوض إسلام كريموف، رئيس أوزبكستان، حربًا بلا هوادة ضد الأصولية الإسلامية في بلاده وفي منطقة آسيا الوسطى، وأنه أبدى استعدادًا للتعاون في مكافحة ما يسمى "الإرهاب الدولي" مع الولايات المتحدة الأمريكية و"إسرائيل".
- اهتمام كريموف بالتعاون الاقتصادي والفني مع "إسرائيل" والولايات المتحدة الأمريكية في العديد من المجالات، ويرى أن هذا التعاون يمكن أن يساعده على تحقيق التنمية الاقتصادية.
- تشجيع كريموف الجالية اليهودية على إحياء دورها في أوزبكستان، فضلاً عن تشجيعه نشاط الوكالة اليهودية، وإعادة بناء المعابد اليهودية.
- زيادة كريموف عدد المدارس الخاصة بالأطفال اليهود.
- فتح كريموف أبواب الهجرة إلى "إسرائيل" أمام يهود أوزبكستان.

رابعًا: مستقبل التغلغل الإسرائيلي في آسيا الوسطى:

عند قراءة مستقبل التغلغل الإسرائيلي في آسيا الوسطى، يطفو على سطح المستقبل المنظور سيناريوهان: الأول يرجح تأثير التغلغل الإسرائيلي

---

[261] أبو عامود، في ظل أخطاء السياسة العربية والتحولات الاستراتيجية.. أمريكا ودولة الكيان وسيناريوهات المصالح المشتركة في آسيا.

من تحقيق هدف فرض النفوذ من خلفية إسلامية في تركيا، وتسعى من خلال التعاون مع حكومة أنقرة إلى أن تكون لها مجسات في منطقة متاخمة للحدود السورية – العراقية[٢٦٤].

ويبدو أن من النتائج المتوقعة جراء ذلك حدوث اختلالات أمنية في المنطقة، جراء أي عملية مواجهة سياسية واقتصادية بين دول آسيا الوسطى المؤيدة لـ "إسرائيل" وإيران، ولاسيما بعد تواجدها في المنطقة بشكل فعلي في المستقبل المنظور, وهي ستؤثر بالتأكيد في مسلمات الأمن القومي العربي، وستؤثر في العلاقات بين العرب ودول آسيا الوسطى، لاستهجان العرب لأي صراع إرادات في المنطقة هي في غنى عنها، ولاسيما إذا كان الطرف فيها دول آسيا الوسطى.

ويبدو أن "إسرائيل" دفعت بخبراتها الاقتصادية لتقدمها إلى دول آسيا الوسطى لتشكل معها علاقات هيكلية، خاصة في المجال الزراعي والتجاري. فضلاً على ذلك، تسعى "إسرائيل" إلى استخدام أسواق هذه الدول لصالحها لترويج البضائع الإسرائيلية، وتحجيم أي وجود اقتصادي عربي داخل هذه الدول.

وتأسيسًا على ذلك، فإن هذه التوجهات الإسرائيلية ستؤثر في أي اندفاع اقتصادي عربي داخل هذه الدول، ولا سيما أنها يمكن أن تكون ساحة مفتوحة أمام البضائع العربية، ناهيك عن أن هذه الدول يمكن أن تُزج بها العمالة العربية بشكل واسع، مع إمكانية وجود المستثمرين العرب هناك لخلق وشائج اقتصادية معها، إلا أن "إسرائيل" تحاول بأي شكل من الأشكال إثبات حضورها الاقتصادي، ومحاولة اعتماد هذه الدول على خبراتها، لينتفي التفكير في أي مجال للتعاون مع الأطراف الأخرى، ومنها الأطراف العربية.

---

[264] السبكي، وجراهام دولك، خبير الشؤون الآسيوية في هولندا، "إسرائيل" جندي تسهيلات لأمريكا في آسيا الوسطى.

قدرات "إسرائيل" النووية، أو تطوير الأمر إلى امتلاك هذه القدرات، لفرض عامل الردع النووي تجاه "إسرائيل"؛ للتخفيف من حدة التلويح بقدراتها النووية، وترهيب العرب بها.

ومن بين الأهداف التي تسعى "إسرائيل" إلى تحقيقها جراء تطوير علاقاتها مع دول آسيا الوسطى، ضم هذه الدول بالتدريج إلى منطقة الشرق الأوسط، باعتبارها عنصرًا جديدًا مهمًا للمشروع الأمريكي – الإسرائيلي (الشرق الأوسط الجديد أو الكبير)، وتبذل "إسرائيل" كل ما بوسعها من أجل دخول هذه الدول إلى الشرق الأوسط، وفقًا للشروط التي تعكس مصالحها. ومن هذه الشروط بقاء هذه الدول علمانية، الأمر الذي من شأنه تقليص دور الدول الإسلامية. وإذا دخلت هذه الدول الشرق الأوسط الأوسع على أساس هذه الشروط سيتغير ميزان القوى في المنطقة لصالح "إسرائيل". أما أداة تحقيق هذا الهدف، فهي إثارة قلق آسيا الوسطى بخطر الجماعات الأصولية، أو بتوهم هذا الخطر [٢٦٣].

ويبدو أن وجود دول آسيا الوسطى في أي منظمة إقليمية جديدة تحت لواء الشرق الأوسط الجديد، برعاية أمريكية وإسرائيلية، سيكون عبئًا على العرب، واختلالاً واضحًا في موازين القوى، لأن دول آسيا الوسطى ستكون مجندة لصالح الاستراتيجية الإسرائيلية في المنطقة بفعل العلاقات الوظيفية معها، مما سيرتب ضغوطًا جديدة على السياسات العربية في مواجهة السياسة الإسرائيلية بالتوافق مع الدول الآسيوية المنضمة إلى الشرق الأوسط الجديد.

ويرى بعض الخبراء أن من 'آثار الاستراتيجية في العلاقات الإسرائيلية مع دول آسيا الوسطى هو توظيف هذه الدول-التي تنتهج نهجًا علمانيًا-في مواجهة الإسلام والمسلمين؛ للتصدي للتأثير الإيراني، ومنع إيران

---

[263] سيوكيانين، تغلغل سياسي اقتصادي وأدوار مشبوهة للدولة الصهيونية الشريك الأصغر لأمريكا في آسيا الوسطى.

تقديم خبراتها في المجالات الزراعية والتجارية والاقتصادية لهذه الدول لتطوير خدماتها، ووظائفها الاقتصادية، ناهيك عن إمكانية التعاون مع هذه الدول في المجال النفطي، والاستفادة من الخبرات العربية في هذا المجال، مع وجود ثروة نفطية هائلة في دولها، فضلاً على ذلك، يمكن للبلدان العربية أن توظف العامل الديني والثقافي في مجال تمتين العلاقات مع هذه الدول، إذ يمكن أن تكون البلدان العربية حاضرة في هذا الإطار داخل الجمهوريات الإسلامية لتكون عوناً لها على فهم الإسلام بصورة صحيحة، وتسهيل توافد الوفود من هذه الدول إلى الأماكن المقدسة في البلدان العربية، وخاصة في العربية السعودية والعراق، إذ قد يكون هذا التواصل من شأنه خلق وشائج بين الشعوب يمكن أن تؤثر في صيرورة العلاقات بين دول آسيا الوسطى والعرب.

ويمكن للعرب أن يستفيدوا من الخبرات والقدرات النووية داخل هذه الدول من خلال تفعيل التعاون النووي بين الطرفين، وإمكانية ربطه بالتعاون النفطي، إذ يمكن لهذه الدول أن تمنح البلدان العربية خبراتها وقدراتها النووية، في مقابل تقديم العرب لخبراتهم وإرسال خبرائهم إلى تلك الدول، لتحسين واستثمار الثروة النفطية، وتطوير عمليات التنقيب، وبناء المصافي، وتكرير النفط، ومد خطوط لنقل النفط، وتدريب طاقاتهم البشرية داخل المؤسسات النفطية العربية، حيث يمكن أن ينتج في النهاية حزمة من العلاقات يمكن أن تحد من التغلغل الإسرائيلي داخل تلك الدول.

السيناريو الثاني: لا يؤثر التغلغل الإسرائيلي في العلاقات بين العرب ودول آسيا الوسطى، وإن إمكانية نمو هذا السيناريو غير مستحيلة، ولاسيما إذا كانت هناك إرادة عربية جادة للتواجد في دول آسيا الوسطى، إذ بدأت البلدان العربية بعد انهيار الاتحاد السوفيتي بإقامة علاقات دبلوماسية مع هذه الدول، واستقبلت كبار المسئولين منها، حيث كان إسلام كريموف، رئيس أوزبكستان، أول رئيس دولة من هذه الدول يقوم بزيارة إلى البلدان العربية للبحث في إمكانية التعاون معها في مجالات الاستثمار والتنمية الاقتصادية المختلفة، كما قامت بعثات حكومية عربية تضم وزراء ورجال أعمال بزيارة هذه الدول، بما فيها أوزبكستان، باستطلاع الأوضاع الجديدة في هذه الدول، بما يُمكّنها من إرساء العلاقات معها على أسس سليمة، إلا أن التحرك العربي اللاحق اقتصر على الجانب الديني والثقافي فقط، دون أن يمتد إلى الجانب الاقتصادي، الذي كانت له أولوية خاصة لدى الدول بحكم الظروف الاقتصادية الصعبة التي كانت تواجهها[٢٦٥].

ويمكن للعرب أن يكون لهم حضور فاعل في دول آسيا الوسطى إذا ساروا وفق استراتيجية محكمة لتفعيل علاقاتهم مع هذه الدول، وتنشيط الجوانب السياسية والاقتصادية، وجعل الطرفين يستفيد أحدهما من الآخر بمصالح متبادلة، مما سيعطي طابعًا متميزًا لعلاقتهما، وإمكانية تحييد الوجود الإسرائيلي فيها، لأن هذه الدول تأمل من البلدان العربية في أن تكون لها معينًا وعاملاً مساعدًا للوقوف على أقدامها، بعد أن خرجت من عنق الكتلة الاشتراكية، وهي محملة بالمشاكل الاقتصادية التي تأمل أن يساعدها الآخرون لجعلها تتأقلم مع التطورات الدولية الجديدة، وخاصة في المجال الاقتصادي، ولا سيما السير في طريق الاندماج مع عمليات إضفاء طابع اقتصاد السوق. وهنا يمكن للبلدان العربية أن يكون لها شأن في هذا المجال إذا أحسنت في

---

[265] أبو عامود، في ظل أخطاء السياسة العربية والتحولات الاستراتيجية: أمريكا ودولة الكيان وسيناريوهات المصالح المشتركة في آسيا.

الفلسطينية، ومعادلة التوازن في القدرات النووية مع "إسرائيل" في إطار الصراع العربي – الإسرائيلي.

خاتمة:

لقد وصل التغلغل الإسرائيلي في آسيا الوسطى إلى مستوى بدأ يهدد العلاقات بين تلك الدول والعرب، لأن الجهد الإسرائيلي في تحركه داخل تلك الدول لا يخرج من أهدافه: تقليل أو تحجيم الدور العربي في آسيا الوسطى، من خلال استخدام مختلف الوسائل السياسية، والاقتصادية، والاستخبارية، لتسهيل عملية مد النفوذ الإسرائيلي هناك.

وقد لا يتفق أكثر الخبراء والمحللين مع القول الذي يشير إلى أن فرصة العرب داخل آسيا الوسطى قد سحبتها "إسرائيل" من تحت أقدامهم، لأن بمقدور الجانب العربي أن يكون فاعلاً داخل تلك الدول، ليس بالتصريحات والتمنيات الشخصية، بل عبر وضع استراتيجية عمل حقيقية لتنظيم العلاقات مع دول آسيا الوسطى، حيث إن هناك الكثير من المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية، يمكن أن يبحثها العرب مع تلك الدول، وتأسيس آليات عمل مشتركة للتعاون فيما بينهما، والأمر يحتاج إلى نوع من الجدية والعمل المثابر، لأن الزمن يجري و"إسرائيل" تمضي في مخططها للنفاذ إلى داخل تلك الدول، ومنع أي أطراف أخرى، ومنها العربية، من أخذ زمام المبادرة، بدلاً منها، في الاستثمار الاقتصادي، والاستفادة من ثروات تلك الدول لصالحها.

ويبدو أن تنمية الوجود العربي في آسيا الوسطى ليس بالأمر السهل؛ لأن ذلك يحتاج إلى تضافر كل الجهود العربية، وتعاون كل المؤسسات والتجمعات العربية، ومن ضمنها جامعة الدول العربية، ومجلس التعاون الخليجي، ومنظمة المؤتمر الإسلامي، ومراكز البحوث، والجامعات، والمؤسسات الحكومية العربية، ومنظمات المجتمع المدني وغيرها.

الكل يجب أن يوظفوا جهودهم لتطوير العلاقة مع هذه الدول، لأن تفويت الفرصة على أي طرف آخر هو لصالح العرب، ولا سيما إذا أحسنوا من تحركاتهم لتوظيف هذه الدول باتجاه خدمة القضايا العربية، ومنها القضية

الفصل السابع

التطرف الإسلامي في آسيا الوسطى

يتميز حزب التحرير الإسلامي عن الحركات الإسلامية الاخرى الاكثر شهرة بمعارضته الواضحة للعنف. غير ان آراءه شديدة التطرف، اذ انه يفضل الاطاحة بالحكومات في كافة انحاء العالم الإسلامي واستبدالها بدولة اسلامية على شكل "خلافة" متجددة النشاط. وقد نما هذا الحزب بسرعة في آسيا الوسطى وقوبل باضطهاد يتسم بالظلم ويؤدي ربما الى المزيد من التطرف عند أعضائه ولنشر بذور تطرف اسلامي أشد في المنطقة كلها.

كان حزب التحرير قد ظهر في البداية في صفوف الفلسطينيين في الأردن في مطلع الخمسينات. وقد حقق اكتساب اتباع قليلي العدد ولكنهم شديدو الالتزام في عدد من بلدان الشرق الاوسط، وحظي بشعبية بين المسلمين في اوروبا الغربية واندونيسيا. وبدأ العمل في آسيا الوسطى في منتصف التسعينات، وطور اتباعا ملتزمين داخل أوزبكستان، والى حد اقل في قزغستان وطاجكستان وكازخسان. وتتنوع تقديرات اتباعه الى حد كبير، وربما يشكل العدد التقريبي من ١٥-٢٠ الفا في كامل انحاء آسيا الوسطى. ويجب عدم المبالغة في نفوذه -يحظى بدعم شعبي قليل في منطقة يعتبر الميل للاسلام السياسي محدودا- لكنه اصبح حتى الان اكبر حركة اسلامية متطرفة في المنطقة.

وليس حزب التحرير منظمة دينية، بل هو حزب سياسي تقوم ايديولوجيته على الاسلام. وهو يهدف الى اعادة الخلافة الإسلامية من اجل توحيد جميع البلدان الإسلامية تحت حكم اسلامي وبناء دولة توازن الغرب. وهو يرفض الجهود الحالية لاقامة دول اسلامية، مؤكدا على ان السعودية وايران لا تلبيان المعايير اللازمة لذلك. وحسب مفهوم حزب التحرير فان

ان وجود حزب التحرير المتمثل في جماعة صغيرة ولكن هامة من الشباب في غالبية الامر، يقدم لنا تفسيرا سهلا لفشله في تحقيق التغيير في حياتهم الشخصية، او في المجتمع او نظام الدولة. وهو يقدم للشباب معنى ومعتقدا بنيويا في حقبة لولاه لكانت حقبة مربكة وذات تغير اجتماعي صعب. وهو يقدم كذلك مكاسب مادية ودعما اجتماعيا في دول تتسم بالفقر المدقع والانهيار الاجتماعي.

وقد عمل اضطهاد اعضائه، وفي الغالب اضطهاد الذين يتعاملون معهم، على لجوء الحزب للتطرف وانتشار تاثيره على مجتمعات اوسع. ونظرا للافكار المتطرفة للحركة والطبيعة التآمرية لنضالها السياسي، لم يعد غريبا ان تخشى الحكومات من تاثيرها على الاستقرار ولكننا كثيرا ما نجد ان الحكومات في المنطقة، وبخاصة في ازبكستان، تستخدم حزب التحرير كذريعة لفشلها في اجراء اصلاح سياسي واقتصادي وكذريعة لاستمرار قمع النشاط الديني خارج الهياكل الرسمية الضيقة. وفي غالب الامر نجد ان المجتمع الدولي يغض الطرف عن قمعه. والواقع ان الغرب، والولايات المتحدة بصفة خاصة، يواجه خطر الإساءة لسمعته في المنطقة بتعاونه الوثيق مع دكتاتوريات آسيا الوسطى.

ان للمجتمع الدولي دوراً قيادياً عليه القيام به. فعليه ان يقاوم الاغراء في مطالبة حكومات آسيا الوسطى، بحظر حزب التحرير، لان اضطراره للعمل السري سيجعله يلجأ الى المزيد من السرية والتآمر وربما للمزيد من التطرف. وبدلا من ذلك، فان من مصلحة الغرب الضغط على دول مثل ازبكستان للقيام بإجراءات عاجلة لتغيير البيئة التي يزدهر فيها حزب التحرير. ان النظم السياسية المغلقة، والافتقار لحرية التعبير، وقلة التقدم الاقتصادية، والاجهزة الامنية القمعية، تسهم كلها في نمو الجماعات المعارضة والمتطرفة. ومن المصالح الأمنية للمجتمع الدولي التاكد من ان المعارضة السياسية

الدولة الإسلامية هي التي تطبق فيها الشريعة الإسلامية في كافة مناحي الحياة، وليس فيها حلول وسط مع اشكال التشريع الاخرى.

ويدّعي حزب التحرير بانه يرفض العنف كشكل من اشكال النضال السياسي. ويرفض الحزب نظريا الارهاب معتبرا قتل الابرياء مخالفة للشريعة، ولكن هناك خلف هذا الخطاب تبريرا ايديولوجيا للعنف في ادبياته، ويعترف بالمشاركة في عدد من محاولات الانقلاب الفاشلة في الشرق الاوسط. وله كذلك بعض الصلات مع بعض الجماعات الاقل شكوكا بخطر العنف. ولكن، رغم ادعاءات الحكومات، ليس هناك دليل على تورطه في انشطة ارهابية في آسيا الوسطى او غيرها.

تتسم ردود فعل الحكومات بالتناقض وعدم الفاعلية في غالب الاحيان. والحزب محظور في الكثير من بلدان الشرق الاوسط من العمل العلني، وتعرض الكثير من اعضائه للسجن. وتتخذ حكومات آسيا الوسطى مواقف قاسية بشكل خاص، وفي مقدمتها ازبكستان التي تعتبر رائدة في اعتقال واصدار احكام سجن لمدد طويلة على الالاف من اعضائه. وفي بلدان اسلامية اخرى مثل اندونيسيا، يعمل حزب التحرير بشكل علني تقريبا، مثلما هو حاله في الكثير من بلدان اوروبا الغربية.

وربما اسهمت سياسات غير صائبة لحكومات في آسيا الوسطى في نمو حزب التحرير، وبخاصة في ازبكستان. فقد منحه اضطهاد الحكومة الازبكية نوعا من الصوفية لدى بعض السكان، وعمل الافتقار الى اشكال بديلة من المعارضة السياسية او التعبير عن الاستياء على اجتذاب الحزب لافراد من الجمهور المعارض للنظام الحاكم لاسباب سياسية. وزادت السياسة الاقتصادية الهزيلة من تقويض التأييد للحكومة، وحرضت على السخط عند التجار-المؤيدين الرئيسيين لحزب التحرير-. كما ان نظام الحدود الصارم في البلد زاد الدعم لجماعة تؤيد وتدعو الى دولة اسلامية عالمية بدون تمييز بين القوميات.

الإسلامية والناشطين الإسلاميين الاخرين في توليد اتباع بان للاسلام طاقة سياسية خطيرة صغيرة في المنطقة.

ولذلك جاء ظهور قوة حزب التحرير ونموها الواضح وبقاؤها امرا مفاجئا. وبينما لم يكن احد يسمع شيئا عن هذه الحركة في الدنمارك قبل خمس سنوات، فانها تدعي الان بان لها الاف الملتزمين بها، وقد اصبحت فكرة مهيمنة في تبرير الحكومة لاعمالها الحازمة وسياساتها القمعية.

ولما كان حزب التحرير منظمة سرية فان من الصعب فهمه وتقييمه. وقد بذلت محاولات مناسبة قليلة للبحث حول ايديولوجيته وامكاناته السياسية. ذلك ان الافتقار الى معلومات موثوقة قد اعاق ردود فعل الحكومات على هذه المنطقة في آسيا الوسطى وغيرها. ومع ذلك، فان فهم حزب التحرير في آسيا الوسطى، اهدافه ووسائله واتباعه، امر هام في تطوير سياسات الدولة للتعامل مع هذه القوة المعارضة.

ويعتبر الفهم الصحيح امرا جوهريا لايجاد استراتيجيات دولية مناسبة، وبخاصة لان اشراك الولايات المتحدة في "الحرب على الارهاب" قد صعد بشكل مثير الوجود الدولي في المنطقة. ولذلك فان على دول اسيا الوسطى والمجتمع الدولي الاختيار الدقيق المتأني لاستراتيجيات وسياسات للتعامل مع الجماعات السياسية-الدينية من امثال حزب التحرير اذا ارادت تجنب خلق تهديد لاستقرار الدول والمنطقة.

البرنامج العالمي لحزب التحرير

أ-الجذور

تأسس حزب التحرير عام ١٩٥٢ فيما كان حينذاك الجزء الخاضع للسيطرة الاردنية من القدس، على يدي عالم اسلامي فلسطيني وناشط سياسياً، هو تقي الدين النبهاني(١٩٠٩-١٩٧٧). كان النبهاني قد تلقى علومه في الجامع الازهر بالقاهرة، وعمل فيما بعد في فلسطين في المحاكم الشرعية،

للأنظمة غير الشعبية لا تندمج داخل الجماعات الاكثر تشددا وذات الاجندات الاكثر عنفا والأكثر خطورة من حزب التحرير الحالي.

تعتبر طبيعة ودور حزب التحرير الإسلامي احدى اقل الظواهر فهما في الوضع السياسي والاجتماعي والديني في آسيا الوسطى. ويشهد ظهور الحزب على مدى السنوات الخمس الاخيرة تطورا سياسيا هاما، واستخدمته حكومات المنطقة على نطاق واسع لتعليل فشلها في تحقيق التحرر السياسي والاقتصادي، وتعتبره النخب المحلية تهديدا خطيرا.

منذ الثمانينات على الاقل، يناقش العلماء وصناع السياسة دور الاسلام في سياسات السوفيت وما بعد حقبة السوفيت. يرى البعض بان النظام السوفيتي، على الاقل قمع، ان لم يكن قد ابطل امكانية ان يصبح الاسلام قوة سياسية ودينية موثوقة. وتوقع اخرون ان تقوم ثورة اسلامية تقضي على السوفيت في آسيا الوسطى، او ان تسرع حركة اسلامية لملئ الفراغ في السلطة الذي يخلفه انهيار الحزب الشيوعي.

والواقع ان الحركات الإسلامية لم تلعب دورا في الانهيار السوفيتي وفي الاستقلال المتوقع في دول آسيا الصغرى عام ١٩٩١. وفي طاجكستان وحدها نشط حزب اسلامي في الحراك الاجتماعي المحدود الذي جرى في اواخر الفترة السوفيتية. فكان لحزب النهضة الإسلامية اتباع قلائل وكان مجرد واحد من جماعات معارضة عديدة. ورغم ان هذا الحزب تولى دور الريادة في "المعارضة المتحدة"، لكن الدعم الشعبي للاسلام السياسي يبدو انه محدود وانه قد انحسر بسرعة في اعقاب الحرب الاهلية.

وكان "لحركة ازبكستان الإسلامية" نجاح اقل في توليد الدعم لنموذجه من "الجهاد الإسلامي" ولاجندته السياسية العسكرية، رغم انه وضع الخوف من "الارهاب الإسلامي" و"التطرف الديني" على قمة الاجندات المحلية والدولية في المنطقة. ويوحي فشل حزب النهضة الإسلامية وحركة ازبكستان

لكن محاولة الانقلاب فشلت، مثلما فشلت محاولات اخرى في الاردن في عامي ١٩٦٩و١٩٧١، وفي جنوب العراق عام ١٩٧٢ .

ويبدو ان هذا الفشل وما تلاه من اعتقال الكثير من اعضائه قاد الى انحسار حاد في الحماسة والنشاط بين صفوفه. كان الافتراض الاساسي للحزب هو انه كما حدث في القرن السابع الميلادي، فان الامر يتطلب ثلاثين سنة، اقتداء بنهج النبي محمد في انشاء الدولة الإسلامية. ولكن عجز الحزب عن تحقيق اهدافه المعلنة ادى الى خسارة في اعضائه والى بعض التشوش الايديولوجي. وقد توفي النبهاني عام ١٩٧٧ بدون ان يشهد أي نتائج، وواصل الحزب انحداره في الثمانينات. وخلف النبهاني يوسف شيخ عبد القديم زلوم، وهو عضو مؤسس ومن اصل فلسطيني ايضا. ولكن اعادة تنشيط الحزب على نطاق واسع بدأ في مطلع التسعينات مع اندفاع موجة من الاسلام السياسي في انحاء العالم الإسلامي، وعملت احداث كحرب الخليج على تطرف قطاعات من المجتمع الإسلامي.

كانت شعبية الحزب قد انتشرت قبل ذلك خارج حدود الاردن وسورية الى شمال افريقيا وتركيا وجنوب شرق آسيا. وقد ادى اضطهاد حزب التحرير في الشرق الاوسط الى دفع بعض اعضائه لفتح فصول جديدة له في اوروبا الغربية. وسرعان ما احرز تقدما في وسط الجيل الثاني من المهاجرين واصبحت له الان فروع هامة في المملكة المتحدة والمانيا والسويد والدنمرك. ومع انهيار الاتحاد السوفيتي، بدأ العمل في آسيا الوسطى حيث اخذ ينمو بسرعة في النصف الثاني من التسعينات.

ورغم ان الكثير من العمل التنظيمي قد انتقل الى الجاليات الإسلامية في الغرب، لكن القيادة ما زالت تتمحور حول الفلسطينيين في المنفى، وبخاصة القادمين من الاردن. وقد توفي عبد القديم زلوم، الذي ربما كان يقيم في عمان، في نيسان ٢٠٠٣. وخلفه في القيادة فلسطيني اخر هو عطا ابو الرشتا، وهو مهندس مدني درس في القاهرة وكان يترأس في السابق فرع

واصبح قاضيا في نهاية الامر. وبعد عام ١٩٤٨، اصبح النبهاني عضوا بارزا وقياديا في دوائر النقاش السياسي بالقدس الشرقية التي كان يؤمها الفلسطينيون الناشطون في ميدان السياسة، والذين التحق الكثير منهم فيما بعد في حركة البعض الاشتراكي. كما اعجب النبهاني كذلك بافكار القومية العربية، ولكنه بعكس الكثيرين من معاصريه بنى اراءه السياسية على محورية الاسلام في السياسة.

ومثل الكثير من الاحزاب السياسية العربية بعد الثلاثينات، اتخذ حزب التحرير شكل حزب سياسي حديث، له برنامجه وهياكله. ووجد الكثير من هذه الاحزاب الالهام في الاراء اللينينية المبكرة، مرده صدى مفهوم الحزب كطليعة ثورية. وتبنى معظم الاحزاب ايديولوجية القومية او الاشتراكية، او كليهما وكان تقي الدين النبهاني احد اوائل المفكرين العرب في الدعوة الى قيام حزب سياسي حديث باستخدام الخطاب الإسلامي .

ومع ذلك فان لحزب التحرير التقاء من حيث البنية السياسية مع الاحزاب السياسية، مثل حزب البعث الذي اصبح فيها الحزب الحاكم في العراق وسورية، اكثر مما كان له من التقاء مع كبرى الحركات الإسلامية، الاخوان المسلمون .

ومنذ البداية تقريبا، عمل حزب التحرير كحزب غير دستوري، حيث رفضت السلطات الاردنية طلب تسجيله كحزب مشروع، لكنه ظل يعمل بشكل علني وكجزء من المعارضة السياسية الواسعة. ونال الحزب دعما شعبيا خلال الخمسينات في الاردن وفي الضفة الغربية، وبعض الدعم في بيروت حيث اجبر النبهاني على الاقامة في المنفى، ولكن نفوذه بشكل عام كان محدودا على المسرح السياسي الواسع في الشرق الاوسط.

وحاز المزيد من الدعم في الستينات، وفي عام ١٩٦٨ رأت قيادته بان هذا الدعم كان كافيا للاستيلاء على السلطة، لا في الاردن وحده، بل وكذلك في العراق وسورية، بقيادة جيوب من المساندة في القوات المسلحة في كل بلد.

ومن ناحية اخرى، كان هناك الكثيرون من اتباع سيد قطب، الذين تبنوا التطرف الإسلامي. بخلاف المصلحين الإسلاميين الاوائل، رفض النبهاني كافة محاولات التوفيق بين الاسلام والافكار الغربية المتصلة بنظام الحكم الدستوري او بالقومية. وتتسم جميع كتاباته بكراهية الغرب، وبخاصة البريطانيين. ولكن لم يقتدي بسيد قطب في رفض العصرية؛ والواقع ان حزب التحرير، اكثر من معظم الجماعات الإسلامية، قد احتضن التكنولوجيا والاصطلاحات الحديثة، حتى في منهجيته السياسية، وبينما يدعي الحزب بانه يرتكز على مطلع التاريخ الإسلامي، فانه مدين بالكثير للحركات الثورية الحديثة، مثل اللينينية.

في الامور الدينية، طور النبهاني رأيا مستقلا عن المدارس الفقهية الإسلامية الاربعة الكبرى. والمراقبون الذين يرغبون في اقحامه داخل المعسكر "الوهابي" لاسباب سياسية سوف يجدون مشقة في ذلك على اساس ايديولوجيته الدينية. ذلك ان معتقداته من الواضح بانها ليست متطابقة في حالات كثيرة مع مدرسة الوهابية في تفسير الشريعة الذي يتبعه الكثير من الجماعات الوهابية. وتعني طريقته المستقلة بان الكثير من تعاليم حزب التحرير حول الامور الإسلامية يعتبر بدعة عند العلماء من رواد المدارس الإسلامية الكبرى.

١- الدولة الإسلامية:

يرفض حزب التحرير المحاولات الحالية لاقامة دول اسلامية باعتبارها محاولات غير جذرية بقدر كاف. ان رؤيته حول دولة اسلامية رؤية مطلقة:

"لكي يعتبر بلد ما دولة اسلامية، لا بد ان تنبع كل مادة وقانون من دستور البلد من الشريعة الإسلامية ."

الاردن. وقد قضى فترة من الوقت في السجن في الاردن، وكان على صلة بالحزب منذ عام ١٩٥٥. ونظرا لخلفيته، يبدو من غير المحتمل ان يحدث تغيير هام في ايديولوجية الحزب تحت قيادته، رغم انه لا يعرف مدى التاثير الحقيقي الذي يحظى به "الامير" الجديد، مقارنة مع الزعماء النشطاء الاخرين.

ب-الايديولوجية

ان الاهداف المعلنة لحزب التحرير واضحة وعظيمة الطموح -اعادة اقامة الدولة الإسلامية، في تفسير طوبائي للخلافة التي حكمت ذات مرة العالم الإسلامي، والتي سوف تطبق فيها الشريعة الإسلامية حالا وبشكل كامل. ولا يوجد تدرج او مهادنة في برنامج التغيير، وينظر حزب التحرير لكافة- برامج الاحزاب الاخرى السياسية والاجتماعية والدينية على انها غير مناسبة في افضل الاحوال، لانه يرى بان الجماعات الإسلامية الاخرى لا تستطيع سوى فعل اليسير لكي تركز على اقامة دولة اسلامية بالمعنى الكامل.

لقد تغيرت عقيدة الحزب قليلا عما اوجزته كتابات النبهاني في الخمسينات والستينات رغم استمرار وجود جهود للاستناد الى ارائه في تطوير احكام لكافة مناحي الحياة وتقديم رؤية اسلامية بديلة حول المشكلات الحديثة والمعاصرة. والواقع ان كتاباته ظلت الاساس لايديولوجية حزب التحرير الى حد انها تشكل معتقدا اساسيا يصعب تغييره بدون تقويض جوهر الحزب.

ان طريقته في فهم الاسلام والسياسة ميزت الحزب عن توجهين اساسيين في الفكر الاسلامي في الفترة المعاصرة فمن ناحية، نرى ان الاحزاب الإسلامية الاكثر تقليدية، مثل جماعة الاخوان المسلمين الاصلية، سعت لتطبيق مظاهر الاسلام واوجهه ضمن الاطر الدستورية القائمة، كنوع من الاصلاح الإسلامي، ركز على التغيير التدريجي من خلال الاصلاح التربوي والشرعي. لكن النبهاني رفض هذا التدرج رفضا تاما، مدعيا بان التحول الجذري للمجتمع سيؤدي الى التغيير في حياة المسلمين.

البنود الاساسية في سياسة حزب التحرير الاقتصادية في العودة الى الذهب وكراهية الرأسمالية، ولكن الذي يحل مكانها تحديدا شيء مبهم، رغم ان اجزاء من الدستور تبدو نوعا من الاشتراكية المصطبغة بالاسلام. وليس من الواضح كيف تمول الدولة مسؤولياتها الواسعة لتوفير الصحة والتعليم وما الى ذلك .

ويجب ان تكون النساء "بشكل رئيسي معزولة عن الرجال"، رغم السماح للمرأة بتولي مناصب في الدولة، والعمل في مجال التجارة وانشطة اخرى. ويسمح لغير المسلمين باتباع معتقداتهم وعاداتهم الخاصة بهم .

وتعتبر الدولة الإسلامية التي يقترحها حزب التحرير دولة مثالية اسلامية فاضلة (طوبية) لن يعترف سوى القليل من المسلمين بانها ممكنة التحقيق او انها محببة الى النفوس. ولا يبدي اعضاء الحزب اهتماما كبيرا بتفاصيل الدولة الإسلامية- لا يوجد هنا شيء يناقش في هذا المجال، لان كل شيء يعتبر محسوما ومقررا. ومن طرق عديدة، تقوم الدولة، لا على الرغبة في تطوير دولة بقدر ما هو على الحاجة النفسية للاعتقاد بان نظام حكم اسلامي عظيم يمكن ان يتمخض مرة ثانية ويظهر للسيطرة على الشؤون العالمية وان يتحدى الدول الغربية، مثلما كان الاتحاد السوفيتي القوة الموازنة للقوة الامريكية. والواقع ان هناك الكثير من وجوه التطابق بين الدولة السوفيتية والدولة الإسلامية التي يقترحها حزب التحرير، بما في ذلك حالة الثورة الدائمة (الجهاد) مع القوى الاخرى.

ان الطبيعة المطلقة لاهداف حزب، التحرير والافتقار الى الواقعية في الرؤية تجعل من غير المحتمل ان يتمخض كقوة سياسية كبرى ذات جاذبية للجماهير في أي بلد، ولكن طبيعة بناه السياسية ضمنت له الاستمرارية، بينما الحركات المتطرفة المشابهة قد تلاشت او انصهرت في جماعات اخرى.

ولا يقبل الحزب باي توفيق مع الاشكال الاخرى من البنية السياسية او الشروط القانونية، بل يجب تطبيق الشريعة بالكامل وفي الحال على أي دولة تسمي نفسها دولة اسلامية. والدول الحالية التي تسمي نفسها اسلامية مرفوضة دعواها لانها بعيدة عن الوضع المثالي. فايران تعتبر تدرجية الى حد بعيد، مع اشتقاق عناصر كبيرة من هياكلها السياسية من النظم السياسية الغربية (الانتخابات والبرلمان، وما الى ذلك)، والكثير من السياسات، حسب راي حزب التحرير، ليست مبنية بالكامل على المبادئ الإسلامية: فسياستها الخارجية، مثلا، ملوثة بالقومية الايرانية ومصالح الدولة. وكذلك السعودية، كمملكة، لا تلبي معايير حزب التحرير .

اما تفاصيل ما يجب ان تكون عليه الدولة الإسلامية فهي واردة في سلسلة من الادبيات التي اصدرها الحزب. بعضها مفصل تماما، ولكن هناك القليل من الالية الفعلية للسلطة. ومع ذلك، فقد اصدر الحزب مسودة دستور، يضع التدابير الرئيسية لهذه الدولة. انه خليط عجيب من العناصر المنطوية على مفارقات تاريخية من زمن خلافة العصور الوسطى، موضوعة جنبا الى جنب مع عناصر من الدولة الحديثة. وحسب راي احد العلماء، "حاول النبهاني احياء نماذج تعكس الحياة الاجتماعية الاقتصادية لمجتمعات اقل تعقيدا من مجتمعات اليوم، مقدما اضافات قليلة لحاجات وظرف العصر الحالي ".

وتتصل العناصر الرئيسية بالحاكم، "الخليفة"، الذي ينتخبه "مجلس الامة" المنتخب من الشعب. ويسمح بوجود احزاب سياسية، شريطة ان تقوم على اساس العقيدة الإسلامية، ويطلب منها محاسبة "الخليفة"، ضمن اطار الشريعة.

ويهيمن "الامير" على الشؤون العسكرية والعلاقات الخارجية. ولا مجال لوجود علاقات دبلوماسية مع الدول "الاستعمارية"، مثل بريطانيا وامريكا، ويتحتم وجود حالة حرب مع اسرائيل، مثل الامم المتحدة، وعموما، يجب ان تكون في حالة "جهاد" مع الكفار.

في نشر افكاره من خلال النشر الواسع للكتب والنشرات بلغات متعددة وشبكات مواقع على الانترنت توفر الوصول لمعظم ادبيات الحزب.

ويدعي حزب التحرير بانه من خلال هاتين المرحلتين يستطيع تطوير وعي جماهيري بآرائه (وليس بالضرورة عضوية اعداد كبيرة) والاهم من كل شيء، ان يقدر على اقناع الشخصيات المؤثرة في الدوائر السياسية والقوات المسلحة واماكن اخرى على العمل حسب اهدافه وبرنامجه. ويحاول الحزب ناشطا تجنيد الاعضاء ذوي مستوى التعليم العالي في المجتمع، وبخاصة الموجودين في مراكز تسمح لهم بالتاثير على الرأي العام.

من هذا المنطلق –القبول الواسع لافكار الحزب والتاثير على الذين هم قادرون على التاثير على السياسة– تعتبر اقامة دولة اسلامية هي جوهر المرحلة الثالثة من النضال السياسي. وهذه المرحلة من الاستيلاء الفعلي على هذه السلطة واقامة دولة اسلامية، هي الاكثر ضبابية في ادبيات الحزب.

يرفض حزب التحرير في معظم كتاباته المشاركة في الديمقراطية البرلمانية او في أي تحالفات مع احزاب سياسية اخرى من اجل اكتساب السلطة. ومع ذلك فقد عدل موقفه من الانتخابات في بعض البلدان –وكان له عضو في البرلمان لوقت قصير في الاردن– ولكن يبدو ان هذه النقطة كانت مثار خلاف داخل الحركة. وسمح الحزب لاعضائه بالتنافس على الانتخاب في اليمن عام ٢٠٠٣، ولكن فقط في ظل شروط صارمة، شريطة اعلانهم جهرا "رفضهم للنظام الرأسمالي الغربي"، واعلنوا انهم كانوا "يعملون على تغيير انظمة الكفر واقامة الاسلام مكانها"، واستخدموا القرآن كبرنامج انتخاب وحيد لهم .

لا شك في ان حزب التحرير يظهر استخفافه بالديمقراطية. فهو يرفض هذا المفهوم باعتبار انه اختراع غربي مناهض للاسلام، وان الحزب لا يرغب في العمل كحزب ضمن نظام سياسي. ويدعي منشور صدر مؤخرا بان "الديمقراطية تعتبر نظاما كافرا، وهي تناقض واضح مع القرآن والسنّة ".

٢- المنهجية السياسية:

يعتبر الاصرار على منهج النضال السياسي جزءا اساسيا من ايديولوجية حزب التحرير مما يميزه عن الجماعات الإسلامية الاخرى .

تتحدث كتابات الحزب بتوسع عن ثلاث مراحل من النضال السياسي مبنية على تفسيره للرسالة التاريخية للنبي محمد في اقامة الدولة الإسلامية الاولى:

المرحلة الاولى : مرحلة الرعاية، وتتضمن ايجاد ورعاية وتنشئة الافراد المقتنعين بفكر ومنهج الحزب ويعتبر ذلك ضروريا من اجل صياغة واقامة جماعة قادرة على حمل افكار الحزب.

المرحلة الثانية : مرحلة التفاعل مع "الامة" الإسلامية وذلك لتشجيع الامة على العمل للاسلام وحمل الدعوة كما لو كانت دعوتها، ولكي تعمل على اقامة الاسلام في الحياة والدولة والمجتمع.

المرحلة الثالثة : مرحلة تولي الحكم وتطبيق الاسلام تطبيقا كاملا، وحمل رسالته الى العالم .

وتعتبر المرحلة الاولى اهم المراحل في النشاط الحالي للحزب واحد المفاتيح لاستمراريته. وتبنى هذه المرحلة على ايجاد الافراد المناسبين وصياغتهم حسب افكار الحزب. يقول النبهاني، "اخذهم عبر هذه العملية من التنشئة يتطلب ان يتولى كل فرد دور (تلميذ) يجب اعادة تشكيل عقله من جديد" وهذه العملية من "اعادة تشكيل المعقول" هي اهم جزء فاعل من الاستراتيجية، مما يمكن حزب التحرير من تاسيس جماعات قوية جدا من الافراد الملتزمين بالقضية التزاما شديدا.

وتتضمن المرحلة الثانية "التنشئة الجماعية للجماهير... من خلال تنظيم الدروس في المساجد، والمؤتمرات والمحاضرات، واماكن التجمع العامة، والصحف والكتب والنشرات..." ويعتبر حزب التحرير شديد الفاعلية

المعارضة للسياسية الامريكية في الشرق الاوسط، لكنه لا يدعو الى اعمال ارهابية ضد امريكا. والواقع انه يدعي معارضته للنشاط الارهابي ويؤكد بان قتل المدنيين الابرياء يعتبر مخالفا للشريعة الإسلامية. وادبياته واضحة، تدعي بان "الكفاح المسلح ليس هو الوسيلة لاستعادة الحق" عن ذلك: "ان مساعدة العراق واجب كل مسلم. ولكن ان تساعد والبندقيه في يدك امر ينم عن الحمق- الذي نحتاجه هو اقامة الخلافة ."

لكن الرأي بان حزب التحرير يعارض العنف السياسي في حد ذاته رأي خاطئ. ولكي نفهم موقفه، من الهام التاكيد على ان الاساس النظري لنشاطه السياسي هو المثال التاريخي للنبي محمد. ويكمن اساس اللاعنف في ان محمدا لم يستخدم القوة في البداية في مطلع حياته في مكة، وبدلا من ذلك عبر عن معارضته للأعمال الخاطئة لذوي السلطان، وجمع الاتباع حوله .

ومع ذلك، فموقف حزب التحرير واضح في دعوته الى الاطاحة بنظم الحكم القائمة حاليا في العالم الإسلامي، والى استبدالها بدولة اسلامية. كيف اذن يتوقع الوصول الى السلطة واقامة دولة اسلامية اذا كان يرفض استخدام العنف؟ الامر الاول هو ان حزب التحرير يتوقع تحقيق اتباع الجماهير لافكاره قبل الاستيلاء على السلطة. وهو يعارض فكرة الاستيلاء على السلطة ثم اجبار المجتمع على قبول النظام الإسلامي، وفي ذلك تناقض مع فكرة اقناع المجتمع لتقبل افكاره، الامر الذي يؤدي الى تغيير نظام الحكم .

ولكن حتى في هذه الظروف، ربما توجد حاجة الى استخدام نوع من القوة لازاحة الانظمة المتمسكة بالسلطة. ويوضح ذلك احد العلماء بقوله:

..."يرى النبهاني بانه يمكن باساليب عملية الاطاحة بنظام حكم من خلال العصيان المدني، كالاضراب، او عدم التعاون مع السلطات او المظاهرات، او من خلال مسيرة الى القصر او المقر الرئاسي، شريطة ان تتمتع الحركة بقيادة وسيطرة كاملة... ويمكن، كبديل لذلك، الاطاحة من خلال

وهذه الاراء مقبولة عند اعضاء الحزب في آسيا الوسطى وقال ناشط لجماعة الازمة الدولية: "الديمقراطية تعني حرية الرأي وحرية النشاط التجاري -وكل ذلك مناقض للاسلام". وتقول نشرة اعلامية لحزب التحرير صدرت في طاجكستان: "لقد اغرقت الديمقراطية المسلمين في مستنقع الذل، وقادت الى تفرقهم عن بعضهم البعض "...

واثار هذا الرفض للوسائل الديمقراطية النقاش حول كيفية توقع الحزب في اكتساب السلطة. هناك اختلاف هام بين ما يعتبره الحزب مهمته -الايضاح للناس بان الخلافة امر حيوي- وبين اخراجها الى حيز الوجود، والذي هو واجب ومسؤولية "الامة" بكاملها. واوضح عضو في آسيا الوسطى بقوله: "نحن نخوض نضالا سياسيا؛ مهمتنا ليست بناء الدولة بانفسنا، ولكن ان نوضح للناس كيف يبنون الدولة ."

اذن، ما هي نصيحة حزب التحرير للمجتمع الإسلامي باكمله حول كيفية اقامة الدولة الإسلامية؟ احد الخيارات هو اقناع القادة الحاليين بحاجتهم الى تبني اقتراحات الحزب. ويبدو ان الاعضاء حاولوا ذلك في عدة مناسبات. فهم يدعون بانهم التقوا مع القائد الليبي معمر القذافي لتقديم النصح له حول كيفية بناء دولة اسلامية، ولكن الامر انتهى بهم في السجن. كما انهم التقوا مع اية الله الخميني في الايام الاولى من حكمه في ايران. ولكنهم لم يلاقوا النجاح في محاولاتهم في الاقناع، ولذلك اثير التساؤل حول اذا ما كانوا على استعداد للجوء الى اعمال العنف.

٣- الموقف من العنف:

يقال على نطاق واسع ان حزب التحرير، في وسط آسيا وخارجها، يبغض العنف كوسيلة لتحقيق اهدافه. ويقول بعض نشطاء حقوق الانسان انه بشكل اساسي جماعة مسالمة تعمل فقط في عالم الفكر والدعاية. ولم يثبت مطلقا تورط الحزب في أي عنف بآسيا الوسطى، وفي انشطته العالمية الاخرى سلك سبل تحقيق اهدافه من خلال الدعاية السلمية. وهو شديد

بناء الخلافة. وقد فسر ذلك عضو في كازخستان بقوله: "هناك نوعان من الجهاد: المادي والمعنوي. والجهاد المادي ياتي بعد اقامة الخلافة. اما المعنوي فهو للوقت الحالي ."

مؤكدا ان مفهوم حزب التحرير للجهاد ليس بشكل مبدئي هو ذلك الصراع الداخلي ضد الرغبات والشهوات لتطهير الذات. ويعلق كاتب من الحزب بقوله: "...عندما تسعى امم الغرب لتغيير مفهوم الجهاد لكي لا يعني سوى الصراع ضد الشهوات الذاتية الداخلية، فان هذا يعطيها (الامم الغربية) ميزة واضحة لان ذلك سيجعل المسلمين عاجزين عن الدفاع عن انفسهم." ويدعي بان "هناك اجماعا عند علماء المسلمين على ان الجهاد هو محاربة الكفار لازالة العقبات من طريق جعل كلمة الله هي العليا ".

ورغم ان الجهاد الرئيسي غير متوقع حتى يتم اقامة الخلافة، لكن هذا لا يعني بالا يخوض المسلمون حروبا دفاعية. ولذلك فان على المسلمين، بمن فيهم اعضاء حزب التحرير، القتال ضد معتد اذا هاجمهم:

"ان حقيقة عدم استخدام الحزب للقوة المادية لحماية نفسه او كسلاح ضد الحكام، لا صلة له بموضوع الجهاد، لان الجهاد يجب ان يستمر حتى يوم القيامة. ولذلك، ففي أي وقت يهاجم فيه الاعداء الكفار بلدا مسلما، يصبح الجهاد واجبا الزاميا على المواطنين المسلمين لدحر العدو ".

وهناك خطاب مسهب عن الجهاد في منشورات الحزب، لا يؤكد دائما هذه الفروق. ومن الواضح ان هناك إمكانية لجهاد دفاعي يفسر على نحو واسع وغير محدد. ولكن يبدو ان التوجه الرئيسي لفكر حزب التحرير يبقى واضحا: الجهاد سياتي عندما تقوم الخلافة.

٥- سجل الحزب:

من الصعب تفسير هذه الالتواءات الايديولوجية، ولكن يبدو انها تعني بان حزب التحرير يخطط، نظريا على الاقل، لنضال سياسي سلمي في معظم

انقلاب عسكري تنفذه قوات مسلحة تكون قد وافقت على تسليم السلطة للحركة .

ولكن حزب التحرير يتمسك بوجهة نظره في انه كحزب سياسيا لا يقوم باي اعمال عنف. اذن، كيف يمكنه تبرير الاشتراك في انقلاب عسكري؟

"ان حزب التحرير نفسه يعارض استخدام القوة [لكن]..المصادر الداخلية تدعي بان الجماعات التي تتعهد بدعم الحزب يمكنها استخدام السلاح...اذا وقف المجتمع ضد النظام الحاكم فان ازالته حتى بالقوة المسلحة لا تشكل عمل عنف: وهذا هو الحال فقط اذا تحتم على الحزب قتل اعدائه للوصول الى السلطة، مثلا ".

يظهر هنا مبدأ هام في تفكير الحزب يوضح بعض التناقضات الظاهرة. لقد طور حزب التحرير مبدأ طلب "النصرة" من الخارج، بدراسته للنصرة التي تلقاها النبي محمد من القبائل العربية في بعض الاحيان .

ان اهداف طلب "النصرة" ذات شقين: فهي اولا لحماية الحزب وتمكينه من مواصلة الدعوة لعقيدته، والثاني، "للوصول الى الحكم من اجل اقامة الخلافة واعادة حكم الله في الحياة والدولة والمجتمع ".

ليس من المؤكد ما يعنيه ذلك عمليا، ولكن من الواضح انه يمكن تفسيره بالسعي للحصول على المساعدة العسكرية من جماعات اخرى اذا كان الاعضاء يعانون من اذى كبير، او من اجل اقامة الخلافة. وبهذه الطريقة يظل الحزب ملتزما بكفاحه الفكري والسياسي ولكنه لا يستبعد السعي لنيل المساعدة من جماعات اخرى، بما في ذلك جماعات تقوم بعمل عسكري نيابة عن الحزب.

٤- **الجهاد:** يبدو للوهلة الاولى ان تفسير الحزب للجهاد غامض الى حد ما. ويبدو ان تفسير النبهاني للجهاد محدود باعتباره مسؤولية الخلافة، اذ يرى حزب التحرير ان الجهاد ليس جزءا من الاسلوب الذي يمكن بواسطته اعادة

اتهم ايضا بالتورط في هجوم على الاكاديمية العسكرية في مصر عام ١٩٧٤، وفسرته الحكومة على انه كان تحضيرا لانقلاب. وبدلا من انكار الاشتراك، يعترف ممثلو الحزب بانه "ليس سرا في اشتراك حزب التحرير في عدد من محاولات الانقلاب الفاشلة في الشرق الاوسط ".

وقد زادت الدعوة في ادبيات الحزب الاخيرة الى الاطاحة "بالقادة المسلمين الفاسدين. واضاف التدخل العسكري الامريكي في افغانستان والعراق المزيد من التطرف الى خطابه. فقد اكد احد الناشطين في مقالة ظهرت مؤخرا: "لقد حان وقت التغيير. حان وقت ازاحة الحكام الذين يشلون العالم الإسلامي، اما مباشرة عن طريق الجماهير او عن طريق اقوى العناصر...الناس مستعدون، الحكام قد فشلوا، ولم يبق سوى ان يشعر جنرال في سورية او مصر، باكستان او تركيا، بما يكفي من اثارة لرفع سماعة الهاتف ".

وهكذا، بينما لا يمكن تصنيف حزب التحرير عقائديا وعمليا على انه جماعة ارهابية، فانه على استعداد لاقناع العسكريين للاطاحة بحكوماتهم، وان يشترك بنفسه في حالات معينة في هذه الانقلابات العسكرية. واذا وصل الحزب للسلطة، يصبح من المؤكد على استعداد لاستخدام العنف كدولة اسلامية. ذلك ان الحزب يؤكد بان واجب الدولة الإسلامية القيام بحملات عسكرية لتحرير الاراضي الإسلامية من حكم "الكفار" وشن حرب على اسرائيل.

ومن الهام ان نتذكر بان حزب التحرير لم يحقق مطلقا ايا من اهدافه، وان الدعم الجماهيري المحدود له في معظم بلدان العالم الإسلامي يعني ان من المستبعد له تحقيق ذلك. ويرى البعض بان ذلك ربما يقود الى نفاذ الصبر عند اعضائه عندما يبدو لهم بان اهدافهم بعيدة بمقدار ما كانت بعيدة عندما تاسس الحزب قبل نصف قرن مضى. من الواضح ان ذلك كان مشكلة في الماضي: كانت منشوراتهم تحث الاعضاء على عدم التسرع ونفاذ الصبر، وان يكونوا

الحالات، سعيا لزيادة اعضائه ونفوذه حتى تصل افكاره لحشد كبير من الجماهير حاسم. ومن شان ذلك ان يؤدي بطريقة ما الى الاطاحة بالنظام الحاكم بدون سفك دم. وبتعبير غريب للرئيس السابق لفرع الحزب في بريطانيا، عمر بكري محمد، فان "امة الاسلام تشبه امراة...احقنها بالفكر حتى تصبح حبلى ثم سوف تضع وليد الدولة الإسلامية ."

وفي حالات اخرى، يشعر الحزب بوضوح بان واجب المسلمين هو الاطاحة بالحكام غير المسلمين، وينطبق هذا على الذين هم في موقع يمكنهم من ذلك. وبالتالي فان الشخصيات ذات النفوذ في الجيش -سواء كانوا من اعضاء حزب التحرير ام لا- يمكن اقناعهم للقيام بانقلاب لازاحة زعيم غير مؤمن. يقول احد قادة الحزب: "ان الانقلاب الابيض اسلوب مقبول تماما لتحقيق الاطاحة بحكومة." وبالطبع ليست كل الانقلابات بدون اراقة دماء، ولكن يبدو من المهم تحقيق انقلاب باقل الطرق عنفا. يقول نفس القائد: "لا نريد التشجيع على أي نوع من الحرب الاهلية، مثلا."

وتوفر باكستان مثالا هاما من ناحية نظرية، رغم الامكانية الضئيلة في وجود أي نفوذ هام لحزب التحرير هناك. ويقول الحزب هناك انه يميز بين القيادة الباكستانية العليا وصغار الضباط والجنود. يقول احد قادة الحزب ان الجنرالات هم "عملاء الامبريالية الدولية"، بينما بقية الجيش هو حليفهم المحتمل. ففي بيان صحفي، يحث حزب التحرير الجنود الباكستانيين السير على منوال محمد بن القاسم في الوقت الذي يعتدي فيه الكفار على شرف اخواتنا العراقيات" تاريخيا، لا يقدم ـ ل الحزب دليلا على تورطه في نشاط ارهابي ضد المدنيين، او في اعمال عسكرية ضد المصالح الامريكية او الغربية. ولكن هناك دليلا على اشتراكه في سلسلة من الانقلابات الفاشلة ومحاولات الاطاحة بحكومات في الشرق الاوسط. بعض ادلة هذه الاحداث محل خلاف، ولكن يبدو واضحا ان حزب التحرير اشترك في محاولة انقلاب فاشلة في الاردن في عدة مناسبات في اواخر الستينات ومطلع السبعينات. وقد

اعضائه، وادعت السلطات بانها اكتشفت خلايا مسلحة لحزب التحرير في الادارة العسكرية لجامعة مؤتة (وهو اتهام ثبت عدم صحته في قضية لاحقة امام القضاء). وعلى الرغم من ذلك، يواصل الحزب العمل في الاردن، وهناك بعض الشواهد على ان جزءا من القيادة ما زال موجودا هناك.

قضى النبهاني معظم حياته في المنفى في بيروت، وجعل النظام المتسامح هناك من المدينة قاعدة لكثير من انشطة الحزب. ورغم وجود الفلسطينيين على رأس الحركة، لكن حزب التحرير لم يحظ بنفوذ جاد داخل الاراضي المحتلة، حيث لم يستطع منافسة الجماعات المتطرفة التي تنظم مقاومة شعبيته، مثل حماس، او منافسة العناصر الوطنية الفاعلة المتمثلة في منظمة التحرير الفلسطينية. ورغم ان الحزب يعبر عن شيء ما بين التعاطف والدعم للانتفاضة، الا انها لا تتوافق مع ايديولوجيته الكلية، وهو ان الجهاد ضد اسرائيل يمكن ان ينطلق فقط بشكل جدي عندما تقام الدولة الإسلامية .

وقد تم حظر نشاط الحزب في سورية. وقامت قوى الامن بحملة اعتقال مكثفة على اعضائه عام ١٩٩٩ تواصلت حتى عام ٢٠٠٢، رغم ان الرئيس بشار الاسد اصدر عفوا عن بعض نشطائه. وبناء على قول اللجنة السورية لحقوق الانسان، ظل في السجن ٥٩ من اعضاء الحزب.

وفي العراق، يبدو ان الحزب فقد القدرة على القيام باي نشاط هام في ظل نظام صدام حسين. ففي عام ١٩٩٠ تم اعدام اعضاء من الحزب بعد دعوته صدام لاقامة دولة اسلامية. ولكن الحزب اعلن بعد سقوط صدام عن افتتاح فرع له في العراق، رغم انه ليس من الواضح ما يعنيه ذلك على ارض الواقع. حتى الان، يبدو ان التحالف لم يفرض قيودا على انشطته.

وفي مصر، صدر حظر على نشاط الحزب بعد تورطه في محاولة الانقلال الفاشلة عام ١٩٧٤، وجرت عمليات اعتقال اخرى عام ٢٠٠٢، اشتملت على ثلاثة اعضاء بريطانيين في حزب التحرير. كما حظر نشاط الحزب في بلدان شمال افريقيا. ففي تونس تم تدمير خلاياه عام ١٩٨٣، وطال

واثقين من ان "الدولة الإسلامية سوف تقام، حتى لو استغرق ذلك وقتا طويلا ".

ج-الشبكة العالمية

ان الايديولوجية المنبثقة عن كتابات النبهاني عن الشخصيات الرئيسية في القيادة شيء، وقضيته مدى تقبل هذه الايديولوجية عند الفروع المحلية للحزب شيء اخر. المعلومات قليلة عن مدى وحدة وتناغم الحزب، ولكن الانطباع السائد هو ان هناك قاعدة ايديولوجية مركزية مع اعطاء مجال واسع للقادة المحليين في تنفيذ النشاط السياسي بطرق تتناسب مع الظروف المحلية. ويبدو ان ذلك يمثل تحولا، ربما دخل في مطلع الثمانينات، عن سير الحزب في السنوات الاولى، عندما كان يطبق تنظيما صارما لمبادئ الحزب على النمط اللينيني، وكان يتم طرد اعضاء عندما كانوا ينحرفون عن مسار السلطة المركزية للحزب. ليس واضحا المدى الذي يصل اليه هذا التحول، ولكن يبدو من المستبعد ان تقدر الفروع المحلية على تجاوز عناصر معينة من الايديولوجية.

١- الشرق الاوسط:

حدثت الانشطة المبكرة لحزب التحرير في الاردن في غالب الامر، حيث كسب اتباعا داخل صفوف الفلسطينيين. ولم تكتسب انشطته شرعية كاملة في يوم من الايام، رغم ان احد الاعضاء المؤسسين، وهو احمد الداعور، نجح عام ١٩٦٤ في الانتخابات البرلمانية. وكان عام ١٩٦٨ من بين الذين تم اعتقالهم بعد اتهام الحكومة للحزب بمحاولة القيام بانقلاب عسكري، ومنذ عام ١٩٦٩ اصبح موقف الحزب اكثر هشاشة، حيث اصبحت العضوية فيه تؤدي الى السجن لمدة ست سنوات.

وجاءت الحرية السياسية في التسعينات لتعطي الحزب فرصة اكبر، ولكنه تلقى ضربة اخرى عام ١٩٩٣ عندما جرى القاء القبض على الكثير من

5.6.4.2 دار العلوم في نيوكاسل Darul Uloom Newcastle: افتتح هذا المعهد عام ١٩٧٣ في مدينة نيوكاسل،[٢٩٣] وهو أول معهد ديني إسلامي في البلاد يدرس الفقه وحفظ القرآن والسيرة النبوية ويحوي غرف نوم لطلاب القسم الداخلي.

5.6.4.3 المدرسة العربية الإسلامية: أُسست عام ١٩٨٢ في ضاحية لمدينة جوهانسبورغ تدعى آزادفيل Azaadville، وقد عُرفت هذه المدرسة باسم "دار العلوم آزادفيل Darul Uloom Azaadville". تؤمن هذه المدرسة غرف نوم للطلاب.

5.6.4.4 دار العلوم العلمية الرضوية Darul Uloom Aleemia Razvia : أُسست في ضاحية هندية لمدينة دوربان تدعى "تساتسورث Chatsworth" عام ١٩٨٣، وقد وضع حجر الأساس لهذه الدار عام ١٩٧٨ مولانا شاه أحمد نوراني صديقي (وهو شيخ باكستاني) أثناء زيارته لجنوب إفريقيا. تقدم هذه الدار التخصصات التالية[٢٩٤]:

- تخصص أربع سنوات في العلوم الإسلامية
- تخصص لمدة سنتين في العلوم الإسلامية تلي الأربع سنوات السابقة
- تخصص في حفظ القرآن
- تخصص في الإمامة

وكان من نشاطات الدار:

- إصدار الفتاوى
- العمل الدعوي

293- تقع في مقاطعة كوازولو-ناتال إلى الشمال الشرقي من مدينة دوربان بحوالي ٣٥٦ كلم.

294 - Mahida

الاعتقال ٨٠ من اعضائه عام ١٩٩١. وفي ليبيا فشلت محاولات للتاثير على سياسة القذافي، وأُدع بعض اعضاء الحزب السجن، بعد ان غضب القذافي من نقدهم لايديولوجيته، ويقول احد المصادر ان الحزب اشترك في محاولات انقلاب في الجزائر والسودان، ولكن ليس هناك تاكيد من جهات مستقلة. وفي تركيا كان الحزب نشيطا، لكنه واجه قمع الدولة.

جاءت نتائج نشاط وعمل حزب التحرير في الشرق الاوسط تافهة بصورة عامة، رغم ان الحزب قد آثر على النقاش بين الإسلاميين. ومع ذلك، ينظر اليه عند المسلمين ذوي المستوى الجيد من التعليم على انه يمثل جماعة مبتدعة مهرطقة لا يقبل تفسيرها لكثير من آيات القرآن. ويبدو ان حزب التحرير يتمتع بميزة في المجتمعات التي توجد فيها ثقافة اسلامية محدودة عند المسلمين، وحيث تكون الدولة علمانية بشكل صريح، كما هو الحال في آسيا الوسطى، او في الجاليات الإسلامية في اوروبا الغربية.

٢- اوروبا الغربية:

يقول زعيم حزب التحرير في السويد، فادي عبد اللطيف، ان الحزب ينشط في تجنيد الجيل الثاني من المهاجرين المسلمين. ولما كان اعضاء هذه الجماعة لم يهربوا انفسهم من الحكومات الظالمة مثلما فعل الكثير من ابائهم، الا انهم يبدون في الغالب النقد للديمقراطية ولظلم الراسمالية، وبالتالي انجذبوا الى رسالة حزب التحرير المتمثلة في نظام اسلامي عادل. وبالاضافة لذلك، يواجه المهاجرون المسلمون غالبا التمييز الديني او العنصري. وظلت شعبية الحزب تواصل الصعود بين المسلمين في الغرب، مما وفر له قاعدة تنظيمية وربما مالية قوية.

كانت المانيا اول دولة غربية تقدم على حظر حزب التحرير، وذلك في تشرين الثاني٢٠٠٣ولكن الحكومة الالمانية لم تقدم أي دليل على وجود علاقات بين الحزب وبين الجماعات الارهابية. وقامت قوى الامن الالمانية

"معهد بوغور الزراعي"، وفي يوغيكارا بوسط جاوة، وفي جاكرتا، ومكسار بجنوب سولاسي.

وتمكن حزب التحرير من حشد الاف المظاهرات تاييدا لتطبيق للشريعة الإسلامية (مثلا، في مسيرات منفصلة في جاكرتا وكنداري في تشرين الاول ٢٠٠٢)، وضد الحرب الامريكية في العراق. لكن اعضاءه لم يشاركوا في عنف، رغم ان الحزب كان له ممثلون في المؤتمر التاسيسي لمجلس مجاهدي اندونيسيا الذي ضم بعض الممثلين عن "الجماعات الإسلامية"، التي اتهمت بتدبير التفجير في بالي في تشرين الاول ٢٠٠٢. كما كان للحزب حضور بارز في جماعة دعم ابو بكر باسيير، زعيم الجماعة الإسلامية، عند بدء محاكمته في نيسان ٢٠٠٣، بذلك تحالف ثانية مع "مجلس مجاهدي اندونيسيا .

وكامثاله في اماكن اخرى، يلتزم حزب التحرير (باندونيسيا) باستعادة الخلافة الإسلامية، لكن الكثير من حملاته تركز على مكاسب قصيرة المدى. ففي اجتماع حضرته جماعة الازمة الدولية في اواخر عام ٢٠٠٢، عالج كيفية غرس معاني اخلاقية جديدة في المدارس الابتدائية، ولكن للحزب نظرة عالمية، مع اهتمام خاص بالسياسات الغربية حول الشيشان وافغانستان والعراق. وهو شديد القلق بسبب اضطهاد اعضاء الحزب في اوزبكستان.

رغم ان "يوسانتو" يرفض مشاركة حزب التحرير في النظام السياسي كحزب –الواقع انه يرفض الديمقراطية باعتبارها نظاما سياسيا–يحافظ الحزب على علاقات طيبة مع تلك الاحزاب الإسلامية الملتزمة بتطبيق الشريعة الإسلامية. وبالنسبة لحزب التحرير في اندونيسيا، يبدو ان الوسيلة الرئيسية لتحقيق اهدافه هي تجنيد الاعضاء، يقول زعيمه :"يمكن الاطاحة بسوهارتو بمائة الف شخص فقط، بينما كان في جاكرتا ١١ مليونا في ذلك الوقت. وعندما يصل عدد اعضائنا الملايين يمكننا ان نتحدث عن تغير اجتماعي وسياسي ".

ويقوم الزعماء الحاليون لحزب التحرير في المملكة المتحدة باظهار وتقديم رسالة ودية لوسائل الاعلام اكثر اعتدالا، ويحرصون على التقليل من اهمية أي تفسير خاطئ قد يظهر حول افكارهم. ويسرعون إلى إنكار الاتهام بمعاداة السامية ويندون بأعمال العنف، لكن الرسالة الأيديولوجية الأساسية تظل هي نفسها بدون تغيير.

٣- اسيا:

من جذوره في الشرق الاوسط، واتباعه بين المسلمين في الغرب، يحاول حزب التحرير نشر شبكة له في كافة انحاء العالم الإسلامي. ومن بين اهدافه البلدان الإسلامية غير العربية، ومنها دول اسيا الوسطى، والبلدان الإسلامية في الشرق الاوسط، مثل اندونيسيا وجنوب اسيا، وبخاصة باكستان. وهناك بلدان، هما اندونيسيا وباكستان، يقدمان وجهة نظر متناقضة عن امكانية نجاح الحزب السياسي.

***اندونيسيا:**

ظهر حزب التحرير لاول مرة في اندونيسيا عام ١٩٨٣، على يدي استرالي من اصل اردني-لبناني، اسمه عبد الرحمن البغدادي. وظل طيلة الخمسة عشر عاما التالية يعمل في الغالب كحركة سرية في الجامعات في جزيرة جاوة، اما المتحدث الحالي باسم الحزب، وهو اسماعيل يوسانتو، فقد انجذب الى الحركة عام ١٩٨٥ عندما كان طالبا يدرس الجيولوجيا في كلية فنية في احد المعاهد الاندونيسية البارزة، جامعة غاجا مادا بوسط جاوة.

وما زال الحزب يعمل في الجامعات بشكل اساسي، ولكنه انتشر خارجها عندما انحسرت القيود السياسية بعد سقوط سوهارتو في أيار ١٩٩٨. ويدعي الان بان اعضاءه "عشرات الالاف"، وينشر عددا كبيرا من المطبوعات، بما في ذلك نسخة فاخرة من النشرة الشهرية للحزب "الوعي". وللحزب حضور قوي بشكل خاص في "بوغور" بجاوة الغربية، في حرم

في التوصل الى حل وسط حول اقامة دولة اسلامية مقابل المشاركة في السلطة السياسية.

وبذلك، فان حزب التحرير (باكستان) يستخدم حتى الان الوسائل السلمية لنشر رسالته. وتشمل هذه الوسائل النشرات والمؤتمرات والندوات والدروس الدينية. ويقوم الاعضاء بالدعوة لايديولوجية الحزب بشكل منفرد، حيث يعملون في غالب الامر في المدن. ويستهدف الحزب عادة الطبقة المتوسطة المتعلمة من سكان المدن، متجاهلا المناطق الريفية التي تعتبر ذات فائدة قليلة لاهدافه السياسية. ويركز الحزب بشكل خاص على "صناع الفكر" مثل الصحفيين والمعلمين والمحامين واعضاء النقابات، وعلماء الدين الذين يعتبرون قادرين على التاثير على الجمهور بشكل واسع.

وبناء على قول بعض اعضاء حزب التحرير، فان علاقته مع حكومة مشرف كانت ودية في بادئ الامر. والواضح ان الحزب وجد التشجيع من جانب بعض اجهزة الاستخبارات لفتح مكتب له بعد ان قرر اقامة وجود علني له في باكستان. ولكن الشرطة اغلقت المكتب في ٢٦ تشرين الاول ٢٠٠١ بعد مظاهرة عامة. وبعد عدة تجمعات عامة اعتقلت الشرطة عددا من الاعضاء، اطلق سراحهم جميعا فيا بعد. ولكن الحكومة لم تحظر حزب التحرير رسميا وربما لا يشعر بحاجة للقيام باعمال اشد جرأة لانه فشل في القيام باعمال جريئة هامة.

يرى الصحافي احمد راشد الذي اجرى دراسة عن الحركة بان حزب التحرير احرز تاثيرا ضئيلا في باكستان، وذلك لسببين: الاول لانه في آسيا الوسطى افاد من غياب المنافسة، اما في باكستان فهو يتنافس مع عدة احزاب عريقة، مثل الجماعة الإسلامية، على جمهور مستهدف واحد، وهو الطبقات المثقفة. والثاني، لوجود اقلية شيعية هامة وحازمة، ولان الاسلام في باكستان ذا طبيعة مذهبية، وهي ظاهرة غير موجودة في آسيا الوسطى. ولان حزب التحرير (باكستان) "غير مذهبي في نظرته، فمن المرجح الا ينجح هنا."

حتى الان، لم تفرض قيود على الحزب او على أي من نشاطاته. وهو يتمتع بحرية في عقد الاجتماعات الحاشدة ويحضرها اعداد كبيرة. وهذا الحزب، بالاضافة لجماعة التربية –التي هي امتداد للاخوان المسلمين والتي اصبحت تحمل اسم "حزب العدالة"، يعتبر بين اكثر حركتين اسلاميتين تطرفا في البلد.

***باكستان:**

بالمقارنة مع النمو السريع لحزب التحرير في اندونيسيا، نجد انه اقل نجاحا بكثير في باكستان، حيث تاريخه قصير، لانه بدأ نشاطه بشكل فاعل في تشرين الثاني ٢٠٠٠. ورغم ادعائه بوجود اعضاء له دائما في البلد، فان المؤسسين له كانوا في غالبهم من المغتربين الباكستانيين.

ومثل معظم فروع حزب التحرير، فهو في باكستان صغير ويعمل سرا. ويأخذ تنظيمه الشكل الهرمي، ويقع الامير على قمة الجماعة الباكستانية للحزب، ولا تعرف هوية هذا الامر. ولم يسمح بالكشف سوى عن اسم المتحدث الرسمي باسم الحزب، هو نافيد بوت .

ولكن حاجة حزب التحرير للظهور العلني قد دفعه الى عقد الاجتماعات العامة وتنظيم المظاهرات. ونتيجة لهذه المظاهرات اصبح بعض الاعضاء يعرف بعضهم بعضا، لكن معظمهم يظلون تحت السطح، يمنعهم قادتهم من المشاركة في أي حدث جماهيري. يقول نافيد بوت: "غير مسموح لنا بالكشف عن هويتنا بسبب القمع الموجه لحزب التحرير على نطاق العالم ".

ان الاصرار على اقامة دولة اسلامية مطلقة، تطبق فيها الشريعة كاملة وفي الحال، يضع حزب التحرير في موضع منفصل عن الجماعات الإسلامية الباكستانية الاخرى، مثل عناصر "مجال الامل المتحدة" التي ترغب

ويبدو ان النمو الاولي انتشر الى جنوب قرغستان، وبخاصة في اعقاب الاضطهاد الجماعي للاعضاء عام ١٩٩٧. وفي عام ١٩٩٨، ساند الاعضاء الاوزبك اقامة فرع في طاجكستان انتعش على مدى السنوات العديدة التالية. ومنذ عام ٢٠٠٠ ظهرت تقارير كذلك عن نشاطات في جنوب كازخستان. وظهرت كذلك تقارير من حين لاخر عن عمل حزب التحرير في سجون تركمستان.

وفي خلال عام ٢٠٠٢، احس الكثير من المراقبين بانحسار في نشاط حزب التحرير. فقد ظهرت منشورات اقل، وادعى بعض الباحثين بان السبب في ذلك ربما كان يعود الى القيود التي فرضت بعد احداث ١١ ايلول/سبتمبر في الولايات المتحدة. ولكن يبدو ان الحرب في افغانستان والاعمال الحربية في العراق قد اسهمت كذلك في تطرف اراء بعض الاعضاء وفي ظهور لهجة اكثر حدة في منشورات الحزب.

أ-لماذا ينضم الناس للحزب:

يذكر اعضاء الحزب عدة اسباب للانضمام اليه، تتعلق بالبيئة التي يعيشون فيها، والتاريخ الشخصي للافراد وسياسة الحكومة. وليس هناك قضية واحدة ولكن توجد في الغالب استجابة نفسية تتصل بفقدان المنزلة الاجتماعية، وضعف الايمان بالمستقبل، والرغبة في "عمل شيء ما" حول تغيير المجتمع والتاثير العميق على حياة الناس.

وتعتبر الظروف الاجتماعية-الاقتصادية مناسبة للكثيرين من الذين ينضمون للحزب، ولكن الاشارة الى الفقر كدافع رئيس في تجنيد الناس للحزب يبسط الامور الى حد ما. "فكرة ان الفقر هو الذي يدفع الناس للانضمام للحزب هي خرافة. انظر كم هي كبيرة اعداد المسلمين المتعلمين في الغرب الذين هم اعضاء (في الحزب). هناك اسباب اخرى للتطرف غير الفقر ".

وربما كان اهم ما في الامر ان حزب التحرير يفتقر الى الجاذبية عند العسكر الباكستانيين الذين عمل دعمهم ورعايتهم على مساعدة احزاب مثل الجماعة الإسلامية وجمعية علماء الاسلام على رسوخ وتوسيع قاعدتهما السياسية. اما حزب التحرير فعنده القليل مما يمكن ان يقدمه للعسكر، مع وجود برنامجه احادي الفكرة في وحدة العالم الإسلامي. وعلى العكس من ذلك، فان هدفه في اقامة الخلافة، وبالتالي مناهضة حكم العسكر، قد عزله عن امكانية تحالفه مع الإسلاميين وحرمه من رعاية الجيش. ويبدو من المرجح ان يبقى على هامش الحياة السياسية في باكستان.

حزب التحرير في آسيا الوسطى

ان التجارب المختلفة لحزب التحرير على نطاق عالمي يوضح صورة ثنائية: فهو يكتسب قوة من وجود قاعدة ايديولوجية مركزية لديه، توفر له كذلك بعض الدعم التنظيمي، ولكن النجاح المحلي الاكبر يجيء من استجابة الزعماء المحليين لظروف معينة. وفي آسيا الوسطى، حافظ الحزب على عمل متوازن بين الايديولوجية المركزية وبين حاجته للاستجابة للاهتمامات المحلية لنيل الدعم.

نبت حزب التحرير من الطبيعة الهشة لاسلام آسيا الوسطى الذي ظهر بعد أن ضعفت السيطرة السوفيتية على الدين والسياسة في اواخر الثمانينات. وقد ظهر الاهتمام بالاسلام السياسي في بادئ الامر بفعل حركات مثل حزب النهضة الإسلامية في طاجكستان، وسلسلة من الجماعات التي استلهمت تعاليم الوهابية السعودية في اوزبكستان والتي اسس اعضاؤها فيما بعد "حركة اوزبكستان الإسلامية" المتشددة، الحليفة لطالبان في افغانستان .

وقد عمل اضطهاد الحكومة لهذه الجماعات، وبخاصة في اوزبكستان، على ظهور القليل من التعددية الدينية. وبدلا من ذلك، تمهدت الطريق لجماعات ذات طبيعة تآمرية، وفي ذلك بيئة مثالية لحزب التحرير. وقد ظهرت اولى التقارير عن نشاطه في اوزبكستان في منتصف التسعينات.

وحتى عندما يوجد دفع لبعض النقود للاعضاء، يبدو من المستبعد ان يشترك الكثيرون من اجل المنافع المادية وحسب. ويصعب الا نوافق احد اعضاء حزب التحرير الذي اجريت مقابلة معه في اوزبكستان.

"هناك شخص يعرفني ويتهمني بانني افعل هذا كله من اجل المال. قلت له: اذا اعطيتك مائة، هل تذهب وتوزع هذه المنشورات في السوق؟ اصيب بدهشة، ورفض ذلك بالطبع لن يفعل احد ذلك من اجل المال وحسب، لانه يعرف بانه ربما يقضي عشرين سنة في السجن او ما هو اسوأ، نتيجة لذلك ".

- والاهم من الفقر وامكانية اكتساب بعض المال، هناك عدد من القضايا النفسية. هناك سبب رئيسي وهو الافتقار الى شيء اخر يمكن عمله، اوضح احد الاعضاء كيف دخل في الحزب:

"كان الوقت يمضي مملا بالنسبة لنا. جلسنا في الشارع. وكانوا [رجال حزب التحرير] يفعلون شيئا. وبدأنا نتحدث معهم، وانضم اصدقائي لهم، وانضممت انا كذلك "...

هذا الافتقار الى رؤية مستقبلية امر شائع لدى الكثير من الاعضاء الشباب. والذين يتذكرون الاتحاد السوفيتي، يتذكرون الثقة والاستقرار الذي كان يوفره النظام، وقارنه مع عالم اليوم غير الامن. الشباب الذين يدركون بان طريقتهم في الحياة يعترضها "النظام"، تسدها وتعترضها السلطات الفاسدة او عقبات اخرى، يستمعون لتفسير حزب التحرير البسيط للسبب الذي منعهم من تحقيق النجاح.

هذا الاعتراض وهذه العقبات امام طموحهم ربما يفسر لماذا ينضم للحزب عدد من المتعلمين والناجحين من الناس. ذلك ان طموحهم المحبط يشجعهم على ايقاع اللوم على النظام، والنظام نفسه، بفساده ومحسوبيته وعدم الاهتمام بالصلاح والخير، يشجع على تسييس المشكلات الشخصية.

ربما يصدق هذا التاكيد على الغرب، لكن من الواضح ان العوامل الاجتماعية والاقتصادية تلعب دورا في آسيا الوسطى، حيث الكفاح من اجل البقاء المالي اليومي هو الاسمى في عقول معظم الناس. ويبدو ان بعض الاعضاء يتوقعون جزاء ماليا. ومع ذلك، ومع ان الكثيرين يشيرون الى المشاكل الاقتصادية التي يواجهونها عندما يشرحون السبب في الانضمام للحزب، لكن هناك شعورا مؤكدا في خلق ذريعة فيما يقولون.

عند السؤال عن سبب الانضمام، اجاب احد الاعضاء :"انظر، نحن نعيش في فقر، ليست هذه حياة عادية". وتدخلت زوجته: "ما الذي تتحدث عنه؟ اننا نبني ملحقا. وسوف نشتري شقة-شقة جميلة. انه يريد كل شيء "...

الكثير من الاعضاء، بالطبع، فقراء حقا، ولكن الاكثر اهمية هو ذلك الشعور الواسع في تلقي معاملة سيئة من المجتمع والدولة. لقد سدت الطريق امام طموحاتهم بطريقة ما، والتغير الاجتماعي الذي يشهدونه حولهم محبط ويهدد في غالب الامر مكانتهم في المجتمع او الاسرة.

ويعتقد الكثيرون في آسيا الوسطى بان الاعضاء ينضمون لحزب التحرير لانهم يتلقون مالا. تقول زوجة احد الاعضاء :"الشباب العاطل عن العمل وحدهم الذين ينضمون...انهم يذهبون بسبب النقود..." يروي بعض المحللين ان الاعضاء يتلقون ما بين ٥٠-١٠٠ دولار مقابل توزيع المنشورات، ولكن لا يوجد دليل مؤكد على ذلك. وينكر جميع الاعضاء تلقي أي اموال مقابل عملهم. "نحصل على نقود فقط عندما نبيع ادبيات، ثم ناخذ النقود ونوصلها [القيادة]، وعندما نجمع اجور الاعضاء-نوصلها كذلك. ولكن لا توجد نقود اخرى مطلقا." ولكن تقارير المحاكم في طاجكستان توحي بان القادة يتلقون نقودا، وبعضها يذهب لصغار الاعضاء، لكن معظمها ينفق على نشاط الحزب .

يسمح وجود احزاب علمانية معارضة في بيئة تنتشر فيها الكراهية للنظام الحاكم. ولذلك فان جانبا معينا من التعاطف، ان لم يكن الدعم لحزب الله، ياتي من الذين يعارضون سياسيا السلطات الحاكمة، لا لانهم يؤيدون اهداف الحزب النهائية. واجرت جماعة الازمة الدولية مقابلات من وقت لاخر مع شباب اعربوا عن دعمهم للتوجه الإسلامي بدافع الكراهية للحكومة ٧ بسبب أي رغبة معينة في حكومة اسلامية.

كما ان المشكلات الناجمة عن التغير الاجتماعي المتواصل توفر كذلك جمهورا مستعدا يستمع لرسائل حزب التحرير. وكذلك فان تقييد الحزب لحرية المرأة يجد مساندة عند الكثير من الرجال الذين يرون بان المآسي الاجتماعية الضخمة للعقد الماضي قد حدت من مكانتهم. فقد دفع الفقر الكثير من الشابات الى ممارسة الدعارة، وقد اثار هذه القضية كل عضو من حزب التحرير اجرت جماعة الازمة الدولية مقابلة معه. ان النظرة المحافظة عند الشباب الاوزبكي نحو الدعارة تجعل حزب التحرير يقدم التبرير السياسي والديني لاعادة تاكيد سيادة الرجل في المجتمع. ان السلوك الاجتماعي والشخصي غير المناسب يجد تفسيرا في التغيرات السياسية والاجتماعية الواسعة المفروضة على المجتمع من حكام يتلقون الاوامر من الغرب.

من الواضح ان للقمع الحكومي تاثير مزدوج في ابعاد اعضاء محتملين وكذلك في جذب اعضاء اخرين. وقد بين احد الاعضاء في اوزبكستان بانه لم يكن في الواقع راغبا في الانضمام لحزب التحرير حتى جرى اعتقال اخيه لانضمامه للحزب. عندها انضم هو كذلك لتاثره من الطريقة التي عاملت بها الشرطة اخاه. وجرى اعتقال هو ذلك فيما بعد ولكن افرج عنه بموجب قرار عفو. واشترك الكثير من النساء في الحزب بسبب اعتقال ازواجهن او ابنائهن، وتولد عطف واسع عند المجتمع بسبب الروابط العائلية الوثيقة عند عائلات اوزبكستان التقليدية.

يعكس هذا الوضع المشكلات السياسية والاقتصادية المتصلة بجهاز النظام الحاكم في دول آسيا الوسطى والتي لن يتم التغلب عليها بين عشية وضحاها. ولكن المثير من السياسات، ببساطة، كلية البصيرة. فنظام الحدود الصارم في اوزبكستان –الذي يجعل من المستحيل التجارة عبر الحدود– ترك الكثير من التجار بدون عمل ويشعرون بسخط شديد. ونظرا لان الكثير من اعضاء حزب التحرير يعملون في التجارة الخاصة، يبدو من المرجح ان هذه الخطوات يمكن لها فقط ان تزيد من قاعدة دعم الحزب. وتعتبر قضية الحدود امرا هاما، نظرا لان حزب التحرير يدعو لدولة اسلامية بدون حدود ولا قوميات. وتعتبر هذه الرؤية جذابة لكثير من الاقليات الاوزبكية، وبخاصة التي تعيش خارج الدولة الاوزبكية، لانها تعكس سخطها على وضعها في فترة ما بعد السوفيت، حيث فصلت عن ابناء جلدتها بحدود تزداد انغلاقا.

ويبدو الحل السياسي المقترح –حكم خليفة عادل وحكيم– مناسبا بشكل خاص للثقافة السياسية الاوزبكية، التي لاحظ الباحثون فيها تطلعا لحاكم ابوي، تكون مناقبه الشخصية (مثل العدل وصفاء السريرة) اكثر اهمية من أي ايديولوجية سياسية. ويدعو حزب التحرير لدولة تخلو من السياسات، نظام فيه الحكام يؤمنون بالقضاء والقدر، وسلطان يحكم باحكام الهية من عند الله.

هذه الاسباب النفسية للانضمام للحزب هي ايضا وثيقة الصلة في جنوب قرغيستان، حيث الدور السياسي لحزب التحرير اقل اهمية بالنسبة لحكومة متحررة نسبيا. ومع ذلك، اصبحت الحكومتان الفاشستيتان في قرغيستان وطاجكستان هدفا لدعاية زب التحرير. ذلك ان رغبة الحزب في معالجة قضايا، تعتبر محظورة في وسائل الاعلام الجماهيرية، مثل المستوى العالي من الفساد، وفقدان بديل سياسي قابل للتطبيق، يساعد بشكل واضح على جذب عناصر معينة من الشباب الغاضب.

في اوزبكستان، يوجد لحزب التحرير بشكل خاص دور قوي باعتباره المعارضة السياسية الجادة الوحيدة لحكومة قمعية الى اقصى حدود القمع. ولا

هاما في جاذبية حزب التحرير. كما ان سهولة النظام فيه وسهولة ايديولوجيته تشبه ما في الكثير من المذاهب الدينية الاخرى، والمنظور النفسي للعضو العادي ربما هي اقرب الى منظور عضو في طائفة دينية ذات اراء متطرفة، منها الى حزب سياسي متطرف.

ب- مدى الدعم

تدعي وسائل الاعلام بان لحزب التحرير انصارا وموالين يصل عددهم الى نحو مائة الف في آسيا الوسطى. ولكن يبدو ان في ذلك مبالغة. وتعتبر المبالغة في الدعم مفيدة لكل من اجهزة الامن (الحريصة على زيادة الميزانيات والنفوذ) ولحزب التحرير. والواقع ان الاعداد اقل مما يعترف به كلا الطرفين، رغم ان هذه الاعداد تظل هامة.

في اوزبكستان على الاقل ٤٠٠٠ من اعضاء حزب التحرير في السجن، ويرى معظم المراقبين بانهم يمثلون نسبة هامة من الاعضاء. وبناء على احد المصادر، ادعى ذخر الدين حسني الدينوف في شباط ١٩٩٩، وهو الان مستشار الرئيس للشؤون الدينية، وكان سابقا ضابطا في "جهاز الامن الوطني"، ادعى في مؤتمر مقصور على افراد قلائل ان في اوزبكستان ما بين ٦٥٠٠ و ٧٠٠٠ عضو . وفي غياب احصاءات اكثر موثوقية، يبدو هذا العدد واقعيا، رغم انه ربما قد خفض قليلا وذلك لاغراض داخلية. ويبدو ان عدد الاعضاء قد ازداد منذ عام ١٩٩٩، لكن من المستحيل اعطاء رقم حتى بالتقريب. وقد ذكر عالم مطلع في طاجكستان بان الرقم يصل الى ١٥٠٠٠ عضو، في عام ٢٠٠٣ .

وفي قرغيستان. ويدعي اخرون بان العدد اكبر بكثير، ولكن عدد ما بين الف والفين يلقى اكبر ترجيح. وقال ضابط كبير في الامن :"يتظاهرون بوجود الكثير منهم لتلقي التمويل. ولكن لا يوجد في الواقع نشاط خطير كبير هنا." وفي اواخر عام ٢٠٠٢ كان لدى الشرطة ملفات لاكثر من ٦٠٠ شخص في اوش ونحو ٦٨٠ ملفا في منطقة جلال اباد ممن يعتبرونهم اعضاء او

اعرب القليل من الذين اجريت معهم مقابلات عن تـاثرهم بادبيـات حزب التحرير في انضمامهم للحزب، ولكن من الواضح انهـا اثـرت علـى بعضهم. اوضح احد الاعضاء ان تفسيرات الحزب "العلمية" للقضايا الدينية قد جذبته:

"انتسب لاسرة علمانية، لكنني اصبحت اهتم بالدين. ولكن لم يـستطع احد الاجابة على تساؤلاتي، عن كيفية خلق الدنيا او الاشياء المماثلـة. كـان جدي متدينا، ولكنه كان يقول فقط: "الله خلقها". ولكنه لم يستطع توضيح السبب في اختلاف ما يقوله العلم الذي نتعلمه في المدارس. وسـاعدني فـي حـزب التحرير على فهم ما قاله العلم واجاب على اسئلتي بلغة افهمها ".

تعتبر لغة الحزب الحديثة اكثر جاذبية للشبان، واكثر جاذبية للعلمانيين من الصيغ الدينية المعقدة لرجال الملاّ التقليديين. وليس حزب التحرير كثيـر المطالب من حيث المعرفة الدينية، مثل الطوائف والمذاهب الدينية الإسـلامية الاخرى: ليست هناك حاجة لتعلم اللغة العربية او الدراسة المتعمقة للكثير من كتب علماء الدين. وكل ما يحتاج العضو الى معرفته مدون في قائمة صغيرة من الكتب والنشرات مكتوبة بلغة سهلة.

ومثلما تبين من الامثلة السابقة، لا توجد اجابة سهلة عن السبب فـي الانضمام للحزب. ومعظم ما يجذب الشباب في آسيا الوسطى يمكـن العثـور عليه في خليط معقد من الدوافع النفسية والسياسية والاجتماعية. كما ان الرغبة في ان يكون المرء جزءا من جماعة وثيقة الترابط، تقدم الدعم المتبادل، نفسيا وربما ماليا، يلعب دورا في ذلك، ويناسب جيدا الانماط الاوزبكية الاجتماعيـة التقليدية، التي يشكل فيها الرجال في غالب الامر جماعات مترابطة -سـواء جمعتها اواصر القربى ام لا- تلتقي من وقت لاخـر علـى الطعـام او فـي مناسبات اجتماعية اخرى.

ان البحث عن عنصر اليقين في مجتمع متغير، على المستوى المصغر (الجماعة) وعلى المستوى المكبر (الايمان بنظام مستقبلي)، يعتبـر عنـصرا

وفي اوزبكستان، يبدو أن الجزء الاكبر من نشاط حزب التحرير يقع في وادي فرغانا وطشقند. ويظهر تحليل جزئي للذين تم اعتقالهم بين سنتي ١٩٩٧ و ٢٠٠١، ان ٢٣% كانوا من ولاية كانت من ولايات اخرى ومن وادي فرغانا – فرغانا نفسها وولاية نمنجان. ولا يوجد ممثلون في العينة لولايتي كركبكستان الغربية ونافوي .

وفي طاجكستان، يتمثل المركز الرئيسي في ولاية سوغد في الشمال، وبخاصة في مدينة خود جند والمناطق المجاورة. وهناك تقارير عن انشطة في دوشنبي، وبعض الانشطة في مدن الجنوب، مثل كلوب. ولكن يعتقد عموما بان هذه الانشطة هي من جهد مجموعات صغيرة او اشخاص، ولا تمثل تغيرا كبيرا في الصورة الجغرافية للحزب .

وفي قرغيستان، يظل مركز النشاط في ولايتين جنوبيتين، هما اوش وجلال اباد. اما منطقة باتكن الجنوبية فقد شهدت نشاطا اقل بكثير، ربما لان بها عدد قليل من السكان الاوزبك. وتوحي الهجرة الجماعية من الجنوب الى بشكيك بانه ربما يوجد مجال للنمو في الشمالي، وهناك تقارير عن نشاط في بشكيك وتوكموك وايسكول. وعلى اية حال، يظل اعضاء حزب التحرير من الاوزبك في غالب الامر، بينما الجنوبيون الذين يهاجرون الى الشمال هم من القرغيز. ويظل من غير المؤكد اذا ما كان حزب التحرير سوف يشكل عامل جذب لهم.

يحاول حزب التحرير توسيع قاعدته العرقية. ولكن يبدو ان ذلك لاقى نجاحا محدودا، رغم ان المنشورات تصدر باللغتين القرغيزية والطاجيك. وفي طاجكستان، يقال ان عددا من القادة مثلوا امام المحاكم في اذار ٢٠٠٢، كانوا من الجنس الطاجيك، لكن سجلات المحاكم تبين بان معظم الاعضاء كانوا من الاوزبك .

في قرغيستان، تدعي المصادر الامنية بان اعضاء الحزب يتشكلون بنسبة ٩٠% في المائة من الاوزبك، و ٣-٤ في المائة من القرغيز و ٤-٥

متعاطفين. وبالطبع ربما يوجد اعضاء غير معروفين، لكن الشرطة تدعي خلال ذلك. وخارج هذه المناطق الجنوبية يوجد دعم محدود لحزب التحرير، رغم ورود اخبار من وقت لاخر عن نشاط في الشمال. من الصعب معرفة اعداد موثوقة عن اعضاء الحزب في طاجكستان ولكن الاعتقالات عام ٢٠٠٠ توحي بان الاعداد في حدود الاف قليلة. واظهرت الدعاوى القضائية على قادة مزعومين لحزب التحرير في اذار ٢٠٠٢ بانهم جندوا اكثر من الف عضو. وفي كازخستان، يقدر الخبراء عدد الاعضاء بمئات قليلة، وربما كانوا مجرد عشرات من الاشخاص.

من الصعب تصور وجود اكثر من عشرين الف عضو في آسيا الوسطى كلها. ونظرا للظروف السياسية التي يعملون في ظلها، وصعوبة انشاء أي حزب سياسيا في مجتمعات آسيا الوسطى، يظل هذا العدد هاما، ولكنه ادنى بكثير من بعض التقديرات.

ج-من هم اعضاء الحزب

١-**المناطق والاعراق :**يبدو ان غالبية اعضاء حزب التحرير هم من منطقة وادي فرغانا ربما في ذلك ولايتا اندجان وفرغانا في اوزبكستان، ومن ولاية سوغد في طاجكستان، ومن ولايتي اوش وجلال اباد في قرغيستان).وقد ادى تركيز عمليات الاعتقال والاجراءات الصارمة في هذه المناطق الى تصاعد الاستياء عند هؤلاء السكان الذين كانوا يشعرون من قبل ذلك بالاضطهاد واستبعادهم عن مواقع السلطة على ايدي انظمة الحكم في آسيا الوسطى فيما بعد الحقبة السوفيتية. وشهد جنوب كازخستان كذلك تصاعدا في النشاط الموجود بشكل جزئي عند الاقلية العرقية الاوزبكية المحلية وبعض الخزر، وربما تدعم وقوي هذا النشاط بوجود الاوزبك الذين عبروا الحدود من اوزبكستان الى كازخستان التي تتمتع بامان نسبي.

لا يحظون بمستوى التعليم العالي او المتوسط المتخصص وان اكثر من ٦٠ في المائة ياتون من خلفيات فقيرة. ومعظم الشباب (٧٠%) من فئة ١٨-٣٠ سنة من العمر، و ٢٥ في المائة من فئة ٣٠-٤٠ عاما، و ٥ في المائة فقط فوق الاربعين .

وفي اوزبكستان، بيدو ان للحزب قاعدة اكبر من المتعلمين، ربما لان الكثير من رجال القيادة كانوا اصلا يستقرون هناك. واتم ١٦ في المائة من العينة التي تمثل المعتقلين مستوى التعليم العالي، بينما ٦ في المائة فقط لم تكمل المدرسة الثانوية. وعلى الرغم من ذلك، كان ٥٦ في المائة منهم عاطلين عن العمل، بينما كان ٨% من رجال الأعمال، يليهم عمال المزارع الجماعية (٥%)، والمعلمون (٤%) والطلاب (٤%). ولان الكثير من العاطلين عن العمل في اوزبكستان هم في الواقع من اصحاب المستوى الجيد من التعليم، فان هذه الارقام تبدو مضللة الى حد ما. ورغم ان المعتقلين تتراوح اعمارهم بين سن الخامسة عشر والستين، لكن ٨٢% منهم ما بين سن الحادية والعشرين والسادسة والثلاثين، وذلك عام ٢٠٠٠ .

هذه لمحة عن عينة لحزب التحرير، ولكنها تظهر بانها ممثلة نسبيا بجماعات عديدة من السكان على نطاق واسع، وان اعضاءه بشكل عام افضل تعليما، ولكن البطالة تنتشر بينهم بشكل اكبر مما عند غيرهم. ويبدو ان القيادة جاءوا من خلفية جيدة، على مستوى جيد من التعليم، يحظون بدعم مالي، ويكن معظم الاعضاء هم من العاطلين عن العمل وصغار التجار والمهنيين.

وفي طاجكستان، جاء الموالون لحزب التحرير في غالبيتهم من ولاية "سوغد" (لينين اباد سابقا)، وهي المنطقة الاكثر تقدما من ناحية اقتصادية وتعليمية وعلمانية. قال احد القضاة: "الكثيرون منهم من عائلات مرموقة – ليست هناك مصالح مادية هنا، بل عقائدية فقط". ومرة اخرى، نجد بان غالبية الاعضاء من الشباب العاطل عن العمل، رغم وجود عدد لا بأس به من الطلاب. ومن بين ١١٨ عضوا في حزب التحرير الذين اعتقلتهم اجهزة الامن

في المائة من الويغر. وتوحي المقابلات التي اجريت مع اعضاء ومع رجال الشرطة بان هذه الارقام دقيقة.

٢-**لمحة عن العضوية"** :عليشر" في الثلاثين من العمر، يرتدي حلة انيقة وربطة عنق، وله سيارة ويحمل هاتفا متنقلا. كان يبدو بانه وجد البيئة التي كان يتحدث فيها مع "جماعة الازمة الدولية"، في منزل متهدم، تثير القلق، لانه ربما كان معتادا على الرفاهية. كان يبدو كرجل اعمال ناجح، لكنه كان عضوا في حزب التحرير منذ نحو خمس سنوات.

ورغم ان معظم الاعضاء هم من العاطلين عن العمل، لكن هناك عنصرا قويا لما يمكن ان يسمى "الطبقة الوسطى المتعلمة" في الحزب، وبخاصة عند القيادة. ويعمل الكثير منهم في التجارة الخاصة، بطريقة ما ولدى البعض سند مالي معقول. ويجيئ الكثير منهم من خلفيات علمانية، ولهم القليل من المظاهر الخارجية المتدينة الموجودة عند الوهابيين، مثل اللحية والامتناع عن التدخين.

يبدو ان الكثير من افراد قيادة حزب التحرير في آسيا الوسطى كانوا على درجة عالية من التعليم. كان فرهد عثمانوف، الذي قتلته الشرطة عام ١٩٩٩، من بين القادة الاوائل، وينتسب الى اسرة متدينة مشهورة في طشقند. ومن بين الذين اعتقلوا الكاتب الاوزبكي البارز "امير عثمان"، الذي اودع بالسجن في شباط ٢٠٠١ وتوفي بعد شهر من ذلك، والواضح ان ذلك كان بسبب التعذيب. ولكن التاكيد على ان حزب التحرير هو حركة من المثقفين امر بعد عن الحقيقة. ذلك ان غالبية الذين ينضمون له هم من الفقراء، ضعاف التعليم، عاطلون عن العمل، وبخاصة في قرغيستان. يقول شرطي في كارا-سو يعرفهم جيدا :"انهم يعملون في المقاهي او محلات الحلاقة او محلات اصلاح الاحذية او في التجارة في السوق." وتدعي اجهزة الامن في جنوب قرغيستان بان ٩٠ في المائة من الاعضاء عاطلون عن العمل، و٩٠ في المائة

د-بنية الحزب

من الصعب اختراق بنية حزب التحرير. ذلك ان الذين تجرى معهم المقابلات يرفضون الاجابة عن "القضايا التنظيمية"، وغالبا هم لا يعرفون انفسهم عن تنظيم الحزب وبنيته. مع ذلك، يوحي ما يتم استنتاجه من الباحثين واجهزة الامن بان الهيكل التنظيمي، متطابق في انحاء المنطق، نظريا على الاقل. فهو يعتمد على هيكل الخلية، المشابه للتنظيم الشيوعي في بدايته، مع وجود خضوع دقيق للاوامر تجنبا لاختراقه وللمحافظة على الصفاء الايديولوجي.

وعلى ادنى المستويات، ينتظم الاعضاء في "حلقات"، الواحدة من خمسة اعضاء، في العادة. ويسمى رئيس الحلقة" المشرف" -وهو الذي يوجه اعضاء الحلقة. وعلى مستوى المنطقة، او على رأس "محلة" كبيرة، او اللجنة المحلية (على افتراض وجود عدة حلقات)، يسمى القائد "مساعد"، وهو ينظم الانشطة من خلال عدة مساعدين يسمون "نقباء". والممثل الاقليمي يسمى "معتمد"، ويعينه المجلس السياسي المركزي المسمى "القيادة" -قيادة الحزب الدولية، والتي يرأسها امير الحزب (وهو الفلسطيني عطا ابو الرشتة، منذ ايار ٢٠٠٣.)

ومن الشواهد الضئيلة، يستنتج بان الصلة بين الحزب الدولي والفروع المحلية تبدو متقطعة غير منتظمة. وهناك مدى واضح الفروع المحلية لكتابة منشوراتها الخاصة بها، واتخاذ قراراتها التكتيكية -مثلا متى واين يوزع النشرات. وياخذ بعض هؤلاء الاعضاء نصوص المنشورات عن موقع الانترنت ويترجمونها بمبادرة منهم. ويبدو من غير المحتمل ان تاتي التغيرات الايديولوجية من القاعدة، بل من القيادة المركزية.

وعلى المستوى المحلي، يقوم الاعضاء عادة بتشكيل خلايا (حلقات) جديدة، يجندون اعضاءها من الوسط المحلي، مثل الاقارب والاصهار. كما

في ولاية "سوغد"، ٦٤ في المائة فيما بين سن ٢١ و ٣٠ سنة، و ٧٢ في المائة عاطلون عن العمل، و ١١ في المائة من الطلاب و ٢ في المائة معلمون وواحد في المائة من علماء الدين المسلمين .

والاكثر اثارة للاهتمام، وكذلك للقلق، ان منتقدي ومؤيدي الحزب على حد سواء يلاحظون بان سكان آسيا الوسطى ممن لديهم خلفية دينية او تربية دينية محدودة، اصبحوا من بين اتباع حزب التحرير. والواقع ان الذين يساندون الحزب ليسوا هم المحافظون المتدينون تقليديا، ولكن معظمهم من الشباب قليلي الاطلاع على الاسلام، الذين يقرأون النشرات والادبيات ويتعلمون بانفسهم حول الاسلام.

والسبب في ان حزب التحرير يشكل جاذبية للمسلمين الذين ينتمون لخلفية علمانية، ربما كان صورة الحزب الحديثة وقدرته على استخدام لغتهم. فبينما نجد ان الامام التقليدي ربما يعرض اجزاء من القرآن (غالبا بالعربية)، ويقدم اجابات شعائرية للاسئلة العلمانية، يتمتع حزب التحرير بقدرة افضل على الاجابة بطريقة تعكس وجهة النظر العالمية التي تربى هؤلاء الشباب عليها.

وتظل الغالبية العظمى من اعضاء حزب التحرير من الذكور. وهو يدعو علانية النساء للانضمام لعضويته، ولكن تظل النساء تشكل نسبة ضئيلة، ربما ٦ او٧ في المائة في جنوب قرغيستان، بناء على مصادر امنية. ومعظم هؤلاء النساء من اقارب الاعضاء -زوجات او امهات- وليس من الواضح مدى مشاركتهن في توزيع النشرات، بعض الاعضاء يقولون انهن يقمن بذلك، ولكن اخرين ينكرون ذلك. لقد اصبحت المرأة نشيطة في اوزبكستان ولكن اساسيا في القيام بالمظاهرات دفاعا عن الاقارب المسجونين.

صغيرة كان يستخدمها الحزب، مما يوحي بان الاصدار يتم حيثما يتيسر الامر.

ويعتبر الالتزام بالانضباط الداخلي امرا حيويا لهذا النوع من الاحزاب، وهناك سلسلة من العقوبات توقع على الاعضاء الذين يخرقون القواعد، تصل الى الطرد. قال احد الاعضاء :"اذا ارتكبت "حراما" ثلاث مرات، فان الاعضاء لا يتكلمون معك، ولا يقابلونك لمدة ثلاثة او اربعة اشهر. ولكن اذا واجهت مشكلات في تلك الفترة فانهم ياتون لمساعدتك". ويقول اخرون ان انواع العقاب على المخالفات التي لا تستدعي الطرد تشمل شراء دقيق للفقراء او القيام بالصيام .

ويتجه معظم العمليات من القمة الى القاعدة، وتنتظر الخلايا التعليمات قبل التصرف. ولكن يبدو ان هناك مجالا ما للعمل المستقل على مستوى الخلية. فقد اعترف عضو في "كراسو" بانه قام هو واعضاء خليته بالتوجه الى حجرات الاقتراع في الانتخابات وكتبوا على النشرات :"سوف ننتخب خليفة فقط." وقال "لقد قررنا ذلك من عند انفسنا، جماعتنا، ولم يأتنا امر بذلك من اعلى..." وعلى الرغم من ذلك، كان لدى اعضاء اخرين افكار مشابهة. فقد قال واحد منهم في "ارفان" :"في الانتخابات لم ننتخب احدا؛ وكتب شبابنا في الاقتراع: "نريد خليفة ."

وليس من الضروري ان يكون جميع المشاركين في انشطة حزب التحرير اعضاء كاملي العضوية. فهناك "المؤيد"، وهو ليس عضوا نشيطا، كما قال احد الاعضاء:

"يستطيع المؤيدون المناقشة [نيابة عنا]، لكنهم لا يستطيعون شرح كل شيء. فهم يتحدثون الى الناس ثم يحضرونهم لنا.او يمكن ان نعطي درسا في منزل مؤيد، اذا استحال فعل ذلك في أي مكان. وهم يقدمون المال لنا ويساعدوننا بشكل عام، واحيانا يقومون بتوزيع منشوراتنا "...

يستغلون العلاقات الوثيقة للاقليات الاوزبكية (في قرغستان وطاجكستان) لتوسيع الحزب بطرق امنة.

ويتمتع قائد الحلقة وحده بالاتصال بالحلقة التالية في البنية التنظيمية. والنتيجة هي وجود هيكل هرمي لا مركزي والاعضاء يعرفون القليل من الاعضاء الاخرين، ولذلك لا يستطيعون الافشاء سوى بمعلومات قليلة عن التنظيم.

ويبدو ان القيادة تظل مجهولة في بعض المناطق، ولا تستطيع اجهزة الامن سوى الاختراق على المستوى المحلي. ولكن يعتقد بان عددا كبيرا من اعضاء القيادة قد تم القاء القبض عليهم في اوزبكستان، وربما في طاجكستان، بينما تدعي الشرطة في قرغستان بانها تخضعهم للمراقبة الدقيقة. ويدعي احد ضباط الشرطة: "القادة؟ نحن نعرفهم جميعا ."

يبدو مبدئيا بان فروع الحزب في اوزبكستان. وهناك شواهد مؤكدة على ان فرع طاجكستان بدأ بمبادرة من طقشند. ويبدو وجود صلات محدودة بين الاعضاء عبر الحدود، على المستوى الادنى والاوسط، وربما يوجد تهريب للكتب والنشرات والاموال عبر الحدود.وقليل من الاعضاء لديه كثير من المعلومات عما يجري في بلدان اخرى، مما يوحي بان وجود أي "شبكة لآسيا الوسطى" محصور على القيادة، او على الارجح موجود على اساس غرض خاص.

وليس من الواضح اين تطبع المنشورات. في تشرين الثاني ٢٠٠٢، استولت الشرطة القرغيزية على سيارة تحمل خمسة الاف منشور دخلت من اوزبكستان بطريق غير مشروعة. ولكن معظم الباحثين يميلون الى الاعتقاد بان المنشورات تذهب في الاتجاه المعاكس، من جو اكثر انفتاحا في اوش وجلال اباد الى اوزبكستان. ويبدو ان الادبيات تتجه مبدئيا من اوزبكستان الى طاجكستان، ولكن الشرطة الطاجيك ادعت عام ٢٠٠٢ بانها اكتشفت مطبعة

ولا يتطلب نشاط حزب التحرير –المحدود بشكل اساسي في توزيع نشرات وكتيبات ذات نوعية زهيدة التكاليف –تمويلا ضخما.

ولذلك فان من المعقول بان جانبا كبيرا من المصروفات يمكن تمويله من رسوم عضوية الذين يعملون من الاعضاء. وربما تجيء دفعات غير منتظمة في المراحل الاولية من التنظيم الدولي، رغم ان زعماء المسلمين في بريطانيا يرون بان له مصادر في الخليج .

ونظرا لوجود غسيل الاموال الواسع وغير المشروع وتحويل رؤوس الاموال في اسيا الوسطى، فليس من الصعب ترتيب عمليات تحويل نقود داخل المنطقة، حتى بطرق مشروعة. ففي اثناء محاكمة في سوغد عام ٢٠٠٣، ادعت الشرطة بان زعيما في الحزب كان يتلقى دفعات مصرفية منتظمة قيمتها عدة الاف من الدولارات من الولايات المتحدة.

ولكن اصبح من الصعب ترتيب هذه التحويلات في السنة الاخيرة، او ربما اصبح تمويل الحزب المركزي بطيئا: وتوافق مصادر كثيرة على ان التمويل يبدو بانه تضاءل، كما يتبين ذلك من قلة المنشورات المطبوعة وتدني نوعيتها. وبناء على مصادر الشرطة، يعترف الاعضاء بان التمويل اصبح اكثر صعوبة.

هـ–الانشطة:

١–**الدعاية :** في آسيا الوسطى، يعمل حزب التحرير بشكل اساسي من خلال توزيع الادبيات. ومن الشائع ان يجد السكان في صناديق بريدهم منشورا من صفحة واحدة، اثناء الليل. ويبدو ان معظم المنشورات تطبع في آسيا الوسطى. ويوحي تدني نوعية الورق والطباعة بان الانتاج ربما يتم في اجهزة كومبيوتر ونسخ منزلية متدنية النوعية. ويمكن وزيع المنشورات في السوق في بعض الاماكن –مثلا في

ولكن هذه الهياكل التنظيمية تحد من مدى تطور حزب التحرير الى حركة جماهيرية. غير ان ذلك ليس بالضرورة هو هدفه –انه طليعة نخبة صغيرة فاعلة تهدف الى تحريك المجتمعات الإسلامية في اتجاه الدولة الإسلامية. وفي حالة وظروف اسيا الوسطى، ربما لا يكون عدد اعضاء العنصر الأكثر اهمية. قال احد الناشطين: "نحن لا نطلب من الناس الانضمام الى الحزب الان، بل نشرح للناس ما يقوله القرآن، ما يجب ان نفعله. وليس اجباريا ان يكون كل مسلم عضوا في الحزب، والبعض ليسوا اعضاء، لكن الجميع يعرفون افكار الحزب. ولكن يجب ان ينفذوا اوامر الله... هناك الاعداد الكافية من اعضاء الحزب ".

ويكلف كل هذا التنظيم والمنشورات المال، ولكن ربما لا يكلف اموالا ضخمة. غير ان المعلومات قليلة حول تمويل الحزب. وتعرف الشرطة القرغيزية القليل عن ذلك، لكنها تظن بان الكثير من التمويل يتم داخليا: من رسوم العضوية، رغم ان بعض الاموال ياتي من الخارج. قال ضابط رفيع المستوى: "من المبالغة القول بانهم يتلقون تمويلا من منظمات ارهابية عالمية". ويقول البعض انهم تلقوا تمويلا من رجال اعمال محليين، ولكن لا يوجد دليل مباشر يدعم هذا القول. وادعى ضابط كبير اخر: "انهم يسعون لنيل رعاية رجال اعمال محليين، وتتلقى قيادتهم المال. لكنهم يكتمون ذلك عن الاعضاء العاديين، وربما يقولون انهم ينفقون المال على تجنيد الاعضاء، لكن المال يظل في جيوبهم. "...

ويرى البعض بان لحزب التحرير صلة مع جماعات اجرامية ففي طاجكستان يدعي رجال الشرطة بانه متورط في نشاطات اجرامية بما في ذلك المخدرات وبيع الاسلحة وابتزاز الاموال. ولكن الشواهد قليلة على وجود أي من ذلك، ويبدو ان الاعضاء بعيدين عن هذا النوع من الاجرام، رغم ان بعض الشباب في اوزبكستان يقول ان حزب التحرير يتحول الى مافيا بديلة في بعض الاسواق.

٢- **المظاهرات :** هناك طريقة اخرى ابتكرها حزب التحرير، وهي القيام بالمظاهرات دفاعا عن المسجونين من اعضائه. وتقوم النساء بالمظاهرات كلها على اساس ضعف احتمال لجوء الشرطة الى اعتقال النساء او اساءة معاملتهن .

وقد وقعت كبرى الاحداث في اوزبكستان. ففي الثاني من تموز ٢٠٠١، قام نحو ٤٠٠ من امهات واخوات وزوجات سجناء من حزب التحرير (مع بعض الاطفال) بالاحتجاج في طشقند واندبيجان، وطالبين الحكومة بانهاء الاساءة للرجال. وقد جرى اعتقال وضرب نحو خمسين امراة في طشقند ونحو ثلاثين في اندبيجان. وتتضارب الاخبار حول صحة اطلاق سراح جميع النساء. وقد تواصلت مظاهرات مشابهة عامي ٢٠٠٢ و ٢٠٠٣. ففي ٧ اذار ٢٠٠٣، حاولت النساء تسيير مسيرات احتجاج منسقة في عدة مدن.

واحتجت كذلك نساء في طاجكستان وقرغيستان حيث تعاملت الحكومة معهن بلين. ففي اذار ٢٠٠١، تظاهرت ١٥٠ امرأة في كاراوس بولاية اوس .

وقد جرى استغلال محاكمات الاعضاء واطلاق سراحهم للدعاية. وتعتبر المحاكمات مسرحا مفيدا. ففي بعض البلدان يطلق حزب التحرير بيانات تعتبر جزءا من ادبيات الحزب. وقد حضر محاكمة احد الاعضاء اعداد اكبر من التي حضرت عند مولد ابنائه. وحضر جذرة عضو مات في السجن عدة مئات من الناس، ربما دعما او تضامنا.

٣- **العمل في السجن :** يعتبر العمل هاما لحزب التحرير، لمساعدة الذين في السجن ولتشجيع السجناء الاخرين على الدخول في الحزب. وفي قزغستان يتم ذلك بشكل شبه علني: "اننا نساعد الذين في السجن، السجناء من افراد حزبنا والسجناء الاخرين. فنقدم نقودا ثمنا للسجائر مرة في الشهر، ونقدم هدايا مرة

قرغيستان- رغم ان التوزيع الليلي اكثر شيوعا، بعد عمليات الاعتقال واسعة النطاق.

كما تنتشر كتب حزب التحرير في المنطقة على نطاق واسع. ويعتقد بان هذه الكتب مستوردة. وقد انتج الحزب في الفترة الاخيرة اشرطة فيديو، وتسجيلات، واقراص "سي دي" تحمل خطابات وندوات القادة. وهناك ميل للاعتقاد بان الكثير من هذه المواد يتم انتاجها في الشرق الاوسط او في اوروبا. وبعضها باللغة العربية، ولكن الكثير منها بلغات بلدان آسيا الوسطى. وقد تمت مصادرة اكثر من ٣٠٠ شريط مسموع في قرغيستان .

ويعتبر الانترنت الاداة الرئيسة لحزب التحرير في نشر رسالته في انحاء العالم، وبعدة لغات. ويعرب الحزب صراحة عن رغبته في استخدام التقنية الحديثة للدعوة للاسلام. وفي التسعينات عمدت اجهزة الامن الاوزبك الى زيادة رصد البريد الالكتروني وحجبت الوصول الى مواقع الحزب. وعلى الرغم من ذلك يتمكن الكثير من مستخدمي الكومبيوتر الوصول الى المواقع من خلال قنوات اخرى. ومن الصعب اعتراض الوصول الى البريد الالكتروني، رغم انه ربما يخضع للرصد الى حد معين.

ويبدو ان تكتيكات حزب التحرير اخذة في التغير نوعا ما. فيبدو ان هناك معارضة داخلية للاعتماد على توزيع المنشورات لان ذلك كشف اعضاء وعرضهم لمخاطر جسيمة. ويبدو ان عدد المنشورات ومستوى التوزيع قد انخفض كثيرا خلال عام ٢٠٠٢. وقال ناشط في جنوب قرغستان: "نحن الان لا نوزع المنشورات. هناك طرق اخرى. لقد وجدنا طرقا اقوى من المنشورات. ان اهم طريقة هي التجول والحديث الى الناس..." والواقع ان المنشورات ما تزال توزع بمعدل منشور جديد كل شهرين. ويبدو ان الحزب سيواصل العمل من خلال الحديث غير الرسمي، الامر الذي يعرض اعضاءه بشكل اقل لخطر الاعتقال، ويسمح لهم بعرض قضيتهم بشكل كامل على الناس.